نهج الإمام

في بيان القائد

خطب وكلمات السيد القائد

الطبعة الأولى ـ بيروت ٢٠٠٣م

بتوفيق من الله تعالى مجده، نقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب الذي يضمن أهم ما تحدث به وذكره سماحة الإمام القائد بشأن الإمام الخميني. وقد اخترنا هذه المقاطع من كتاب (حديث الشمس) مع بعض التعديلات وفق منهجية تنسجم مع أهداف هذه السلسلة.

لاشك بأن معظم الفقرات الواردة ليست النص الأصلي الذي تفوه به سماحته، بل هو ترجمة من الفارسية. ومن الطبيعي أن تُفقد الترجمة بعض الروح الموجودة في الأصل.

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

والحمد لله رب العالمين

الناشر

تمهيد

السؤال الذي يمكن أن يكون مدخلاً للتقديم هو: كيف يتعرف الباحث إلى نهج الإمام؟ وهذا السؤال يؤدي إلى أسئلة أخرى تجتمع كلها لتطرح تأسيساً للبحث الشامل عن نهج الإمام قدس سره.

فما هي المبادئ الأساسية التي انطلق منها الإمام في سيره العام في هذه الحياة؟ وما هي المبادئ التي كانت تشكل منطلقات النهضة السياسية؟

ما هي الأفكار التي إذا تآلفت تصور النهج بشكل واضح وتام؟

وكيف يمكن الاهتداء إلى هذه المبادئ والأفكار؟ ومن يقدر على رسم صورة منسجمة لجميع الأبعاد دون الإحاطة بسلَّم الأولويات؟

فقد نجد في بعض المواقف التي أرادت الرجوع إلى الأمام في الاستضاءة أو الاستشهاد، أنها لم تعانٍ من مشكلة النص، فما أكثر النصوص التي يمكن الرجوع إليها حول قضية من القضايا، ويمكن تحويلها إلى شعار للمرحلة أو التحرك، إلا أن أصحابها لم يلتفتوا إلى موقعية هذه الأفكار والنصوص داخل الأطروحة الشاملة، ما أدى إلى ضياع الأولويات وضعف تشخيص الهدف.

وهنا تكمن أهمية النهج أو الخط.

خط الإمام ليس مجرد خطب وبيانات ألقيت في مناسبات متنوعة، وتناولت كل القضايا التي تهم الأمة الإسلامية ـ إنه ذلك الوعي العميق لهذا الوجود بكل أبعاده وشؤونه ـ هذا الوعي الذي يستطيع أن يفسّر مختلف الظواهر، ويقدم الحلول لجميع المعضلات في ثبات واستقامة لا تعرف تزلزلاً وتناقضاً.

ولهذا فإن البحث عن خط الإمام ونهجه ينبغي أن يبدأ في الأتباع والمريدين.

في أولئك الذين تحققت فيهم آمال الإمام وأهدافه.

في الشعب والمجاهدين والمسلمين في أرجاء العالم، في الذين اعتنقوا الإسلام بعشق الإمام. وقبل أي شيء في الإمام القائد الذي حمل الأمانة الكبرى والمسؤولية العظمى.

السنن الإلهية في تدبير الكون وتربية المجتمعات تقول لنا إنكم (كما تكونون يولّى عليكم). ولقد أخلص الشعب الإيراني للإمام، وأثبت أنه أفضل شعب ظهر في تاريخ البشرية في الأتباع والامتثال القائد.

فهل يمكن أن يجازي إلا بالإحسان؟! وهل يعقل أن يتولى أموره رجل كالمنتظري؟!

إنّ عظيم التضحيات التي بذلها هذا الشعب المسلم تفوق قدرتنا على الوصف. ولعلنا لم نشاهد بعد ذلك الشريط الممتد للروح التي سرت في أعماقه وشرايينه وقلبه الذي كان ينبض بروح الأرواح (الموسوي الخميني).

وسيبقى التاريخ قاصراً عن تسجيل تلك الملحمة التي لا مثيل لها لأمة عشقت إمامها وأحبته إلى حد تعجز العقول عن إدراكه والألسن عن وصفه.

وإن من لا يدرك سنن الآله في هداية المجتمعات، كان ليتوقع وصول إنسان ساذج إلى مقام الولاية المقدس والمؤيد من قبل الكون وصاحب العصر والزمان أرواحنا فداه.

إنّ تعيين الإمام الخامنئي في هذا المقام لم يكن إلا تدبيراً إلهياً رحيماً وتقدمة لهذا الشعب المستحق. وإن روح الإمام الخميني لم تسكن بعد، بل مازالت كالإعصار الشديد الذي سيقتلع الكثير من أنظمة الفساد والطغيان في هذا العالم.

وقد شاء الله تعالى أن يتحقق هذا الأمر على يد علي علوي هو أشد على الفجار من حريق النار. إنه روح الخميني التي ما زالت ماثلة أمامنا تنفث فينا عزيمة الجهاد والاستمرار.

فهل أفضل شارح ومبين لنهج الإمام الخميني.

١ ـ الشخصية المعنوية للإمام الخميني قدس سره

* حقاً أن الشخصية العظيمة لقائدنا الكبير وإمامنا العزيز لا يمكن مقارنتها ـ بعد أنبياء الله والأولياء المعصومين ـ بأية شخصية أخرى. لقد كان وديعة الله عندنا وحجة الله بين ظهرانينا ودليلاً على عظمة الله. حينما كان يراه المرء يدرك جيداً عظمة عظماء هذا الدين فليس بمستطاع الإنسان أن يدرك عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعظمة أمير المؤمنين عليه السلام وعظمة سيد الشهداء الحسين عليه السلام وعظمة الإمام الصادق عليه السلام وبقية الأولياء، إذ أن عقولنا أصغر من أن تستطيع أن تدرك عظمة شخصية أولئك الرجال الأفذاذ مباشرة.

ولكن حينما يرى المرء شخصية بعظمة إمامنا العزيز فإنه يخشع ويهطع رأسه إجلالاً واكباراً لكل تلك الخصال السامية التي كان يتحلى بها والأبعاد المختلفة التي تتوفر في شخصيته من الإيمان القوي، والعقل الكامل، والحكمة، والنبوغ، والصبر والحلم والوقار، والصدق والصفاء والزهد وعدم الاعتناء بزخارف الدنيا، والتقوى والورع ومخافة الله والعبودية المخلصة لله. وتلك شخصية لها كل هذا القدر من العظمة وتتوفر على تلك الأبعاد لهي بعيدة عن متناول الأيدي ويتعذر بلوغ مستواها. بل حينما نكون بإزاء تلك الشموس المشرقة في سماء الولاية تصغر عندها شخصياتنا وتبدو ضئيلة بالقياس معها. ومقابل كل تلك الشخصيات العملاقة يشعر الإنسان أنه ليس سوى ذرة متناهية في الصغر، وحينذاك يفهم جيداً كم كانوا أناساً عظماء وكباراً.

* لا توجد عندنا شخصية لا في زماننا هذا ولا في الأزمان الماضية ـ فيما عدا الأنبياء والأولياء عليهم السلام ـ تناظر شخصية قائدنا الكبير العزيز وإمامنا الفقيد الجليل، الذي كان من بين ألمع الشخصيات وأبرز الوجوه في هذا العالم، ولا يوجد له نظير في الوجوه البارزة المعروفة في العالم المعاصر، فهو إنسان تجتمع فيه شتى الأبعاد ومختلف الصفات وينعدم وجود شخص مثله يجمع كل هذه الصفات الإيجابية..

* كل واحدة من الخصال التي يمتلكها الإمام كانت تكفي لتصنع من المرء إنساناً عملاقاً فقد كان حكيماً واعياً مطّلعاً، وكان من الناس الذين لا يمكن قلب الحقيقة أمام أعينهم بسهولة.

* ثمة فرقة بين تلك الشخصية التي يكنّ لها المرء احتراماً لمنصبها أو مقامها، وتلك الشخصية التي بلغت شأناً عظيماً في التسامي بحيث أنها تجبر أي إنسان ـ مهما كان عظيماً ـ أن ينحني لها إجلالاً وتكريماً.

* إنّ كل واحدة من المزايا التي كانت في إمامنا العزيز تكفي لأن تجعل من الإنسان العادي إنساناً عظيماً.

* لقد عشت في ظل الإمام سنين طويلة. فمنذ عام ١٩٥٨ تعرفت على سماحته وبدأت الدراسة على يديه وشاهدت كل المحن والمصائب والأزمات التي جرت على هذا الإنسان الكبير. ولم يكن هذا الشخص الاستثنائي من نفس طينة الناس في زماننا أبداً. ولا أستطيع حقاً أن أصف الخصال السامية التي

تجسدت لدى هذا العملاق العظيم في عصرنا الحاضر، لقد كان ذا جلال وهيبة في نفس الوقت الذي كان فيه متواضعاً.

* حقاً أنه يجب القيام بواجب الإجلال والإكبار والتكريم لإنسان عظيم وشخصية منقطعة النظير مثل إمامنا العزيز الجليل، وبالشكل الذي يجدر ويليق بألمع الناس وأبرزهم، وانبغ العقول وأصفى القلوب وأسمى النفوس.

وبعيداً عن المبالغة، ينبغي القول، إنّ هناك نواح كثيرة في شخصية (صاحب) تلك الروح الملكوتية وذلك الإنسان الفذ الجليل مازالت مجهولة بالنسبة لنا حتى الآن.

* في اليوم الذي غادر فيه النبي ﷺ هذه الحياة حصلت في المدينة ضجة كبرى أعادتها إلى أذهاننا بعد ألف وأربعمئة عام الضجة الكبرى التي حصلت في يوم وفاة إمامنا العزيز.

ويمكن القول ـ طبعاً ـ أن الصفاء والإخلاص والمحبة العامة للناس تجاه إمامهم تفوق ما كان لدى الناس في ذلك الحين من الوفاء والإخلاص والمحبة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أفول المعنويات والقيم الأخلاقية في العالم المعاصر، فإن شخصية الإمام قد بدت لامعة في هذا العالم.

* لقد كان الإمام أرفع شأناً وأطول باعاً من كل الأشخاص الذين رأيناهم وسمعنا بهم، سوى الأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام.

* لقد توفر ذلك الإنسان الفذ على مجموعة من الخصال النفيسة والصفات السامية التي لم تجتمع لقرون متمادية ـ إلا بندرة ـ في إنسان واحد، إذ كان

يجمع قوة الإيمان إلى العمل الصالح، والإرادة الفولاذية إلى الهمة العالية، والصفاء المعنوي والروحي إلى الذكاء والكياسة، والتقوى والورع إلى السرعة والحزم، والهيبة ووقار القيادة إلى الرقة والعطف والرأفة.. وهي ـ لعمري ـ صفات يندر اجتماعها مرة واحدة.

* يقيناً أن خصائص الإمام كانت استثنائية وممتازة ومنقطعة النظير، وإنني كلما تعمقت في التدبير في أبعاد شخصيته خلال هذه السنوات العشر، وكلما تأملت فيها الآن بعد أن حلت بقلوبنا تلك الحرقة واللوعة المذيبة للأكباد، فإنني أرى أنه كائن استثنائي عجيب وغير مألوف.

*الخصال العالية والمُرضية التي كانت لدى الإمام ـ وما أكثرها ـ كانت تكفي كل واحدة منها أن تخلق من الفرد الذي تتوفر فيه إنساناً عظيماً. فقد كان الإمام إنساناً حكيماً عاقلاً شديد الذكاء والنباهة، يتحلى بالوعي والبصيرة وبعد النظر وسبر اغوار الحقيقة.

كان صارماً للغاية وذا إرادة فولاذية ليس باستطاعة أي عائق أن يحول دون تحركه نحو بلوغ الهدف. وفي الوقت نفسه فقد كان إنساناً رحيماً رؤوفاً رقيق القلب، سواء أثناء المناجاة مع الله أو خلال مواجهة أمور تحصل في حياة بعض الناس فتحمل الإنسان على التأثر والرأفة.

وكان يتمتع بالحلم والسيطرة على أزمة النفس، والتقوى بمعناها الحقيقي.

* إنّ الخروج بحصيلة من التأمل في تلك الشخصية وتحليل أبعادها المختلفة والصفات السامية لذلك الإنسان الفذ الجليل يستلزم امتلاك قدرة

كبيرة على التدبر والتأمل لا يمكن أن تتيسر لنا ولمن عاصر الإمام وكان قريباً منه.

* إننا لم نتشرف برؤية الأئمة المعصومين عليهم السلام ولكن المرء يستطيع أن يرى رشحة من رشحات تلك العبادة وذلك الاقبال على الله الذي كان عندهم متجسداً في الوجود المقدس لإمامنا الراحل العظيم.

* كان سماحة الإمام الخميني قدس سره قائداً كبيراً وأباً رحيماً ومعلماً واعياً ومرشداً وحبيباً للشعب الإيراني، وقد أحس شعبنا بمدى الأهمية الفائقة لوجوده وإرشاداته ودعمه له في المراحل العصيبة كلها، سواء تلك التي كانت خلال أيام النضال، أو أثناء السنوات العشر المنصرمة من عمر نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

كان إمامنا ـ يوماً من الأيام ـ وحيداً يعيش في ديار الغربة، ولكنه لم يخش من الوحدة كما لم يخشها الأنبياء كنوح وإبراهيم، ولم يستوحش منها، وكان يرى أن الله أعظم من كل المخلوقات، ولم يشعر بالوحشة نتيجة إعراض الآخرين وصدودهم ولم يخش عداوة أحد.

* لقد منّ الله علينا بعبد من صالحي عباده وخيرتهم وأفضلهم، وولاه أمورنا وابتعثه ليوقظنا، ويملأ قلوبنا ـ ولله الحمد ـ من أن نحكّم الإسلام إلى الحد الميسور والمعقول في مجتمعنا خلال هذه الفترة الزمنية.

*في حياة كل الشعوب وفي حياة كل إنسان، تسنح فرص ثمينة، فإن أسعف توفيق الله ذلك الشعب أو الفرد اهتدى عقله وذهنه لاستثمار تلك الفرصة

بأقصى ما يمكن، إما إذا لم يمن الله عليه بالتوفيق فإنه يخسر تلك الفرص ولا يمكن تعويضها وجبرانها بسهولة وسرعة، ونرى تاريخ الشعوب يزخر بأمثال هذه الوقائع، ولا ينبغي الشك في أن هذه السنوات العشر من القيادة الشخصية والمقتدرة لإمامنا العظيم كانت فرصة ثمينة بالنسبة للشعب الإيراني.

* إنّ الشخصيات المعنوية لا ترتبط هوياتهم ولا يتجسد كنههم في أجسامهم المادية ووجودهم الدنيوية، بل يرتبط بفكرهم ونهجهم، وبتعاليهم وإرشاداتهم فهي خالدة أبد الدهر.

لقد كان أنبياؤنا وأولياؤنا وإمامنا نفسه، يشيرون بأحد أناملهم إلينا بالتوجه في الاتجاه الصائب والطريق الصحيح، وهم طبعاً في طليعة السائرين في ذلك الطريق دون أن يقفوا جانباً ويشيروا لنا بالتقدم لوحدنا.

*لقد كان عبداً صالحاً لله بالمعنى الحقيقي، وإنني لا أجد أي عبارة أفضل لوصف الإمام من القول أنه عبد صالح.

* كان إمامنا الفذ(قدس الله نفسه ورضوان تعالى عليه). الذي كان ينطق بلسان الأنبياء ويستلهم من قلب الأنبياء، وينظر إلى الحقائق بعين الأنبياء ـ يركز على هذا الأمر(قوة إيمان الشعب وثباته) ويهتم به كثيراً.

*إنّ الاجتهاد يعني السعي الدائم للتحرك الصائب واجتناب الانحراف، والتحلّي بالعفة وكسب العلم وإصلاح الفكر وإصلاح الذوق المنحرف إن كان عندنا ـ لا سمح الله شيء من هذا القبيل، وإصلاح المذاق والمنهل الديني والفقهي والكلامي والسياسي وغيره.

لقد كان إمامنا الفقيد الجليل حقاً أسوة من جميع النواحي. وأؤكد على هـذه العبارة، ومن أي زاوية ينظر إليه الإنسان يرى أنه من الجدير بالنـاس وطـلاب العلم ورواد طريق هداية الناس أن يقتدوا به.

* إنه كان الأول الذي لا ثاني له، وأن المسافة الفاصلة بينه وبين أمثالي لهي فاصلة طويلة ومتمادية ولا يمكن طيها..

* كان إمامنا الفذ تجسيداً مرئياً لقيم ثورتنا. يروى أن إحدى زوجات النبـي طُلب منها أن تصفه فقالت. (كان خُلقه القرآن) أي أنه كان القـرآن المتجـسد، ونحن اليوم نقول عن إمامنا الجليل، إنه كان تجسيداً حياً للإسلام الثوري، كـان يتجسد فيه الإسلام النقي في الحياة والأخـلاق والعواطـف واتخـاذ القـرارات والتفاني في الله. وقد منّ الله المتعال عليه بخير جزاء، وكان الانجاز الـذي تـم على يدي هذا الإنسان العظيم في هذا العصر انجازاً منقطع النظير ولـم يـستطع القيام بعمل يوازيه غير الأنبياء أولو العزم، ولم يستطع انجاز مثل هـذا التحـرك من بعدهم أحد سواه.

*إن الإحاطة بأوصاف عظمة هذه الشخصية الكبرى تحتاج إلى أقلام مقتدرة وألسنة معبّرة.

فقد كان كالشمس التي تُرى من خلال إشراقها بقية الأشياء، وكان كـالروح التي تحيي أعضاء البدن كلما دبّت في أحد تلك الأعضاء. ولقد أحياناً وأوجـد الحركة في أوساطنا واستطعنا بفضل وجوده أن ندرك الأهمية والقيمة الجغرافية والتاريخية وأن نعي حقيقة فكرنا القرآني وتراثنا الشعبي.

وإذا اعتبرنا نظام الجمهورية الإسلامية وهذه الثورة العالمية الكبرى وهذا الانبعاث العظيم، شجرة طيبة فإن جذورها هي هذه الشخصية العظيمة التي يعود لها الفضل في نمو تلك الشجرة.

* لقد كنّا ـ في الحقيقة ـ أمواتاً فأحيانا الإمام، وكنا ضلالاً فهدانا الإمام، وكنا غافلين عن الوظائف الكبرى للإنسان والمسلم فأيقظنا الإمام وأرشدنا إلى سواء السبيل، بحيث أمسك أيدينا وشجعنا على المسير وكان هو في طليعة السائرين.

علاقة الإمام بالله وإخلاصه له

* إنّ ما عليّ أن أقوله لكم هو: لو كانت لدى الإمام كل تلك المزايا والخصائص وافتقد هذا العنصر المهم والأساس لرأينا أنه لا الثورة انتصرت ولا الشعب يعشق قائده إلى هذا المستوى ولا كان بإمكانه إيجاد هذه الموجة العارمة التي يشهدها العالم ولا المقاومة والثبات كالجبل الراسخ والطود الأشم بوجه تهديد العدو وإرهابه. ولهذا فإن العامل الأساس في تحقيق هذا الرجل لكل هذا النجاح هو الحالة المعنوية والارتباط مع الله والعلاقة الوثيقة به والتقوى والعمل لله بإخلاص، وتنزيه العمل حتى من النظر إلى نتائجه الظاهرية.

لقد سمع الجميع مراراً أنه كان يقول: إننا لا نقوم بعملنا من أجل تحقيق النتيجة هذه، بل نقوم به لنؤدي تكليفنا ونقوم بواجبنا.

* النقطة الأساس في عمله أيضاً الذوبان في الإرادة الإلهية والتكليف الشرعي، ولم يكن يهتم بأي شيء عدا هذا الأمر، وحقاً لقد كان أن المصداق

للإيمان والعمل الصالح الذي نقرأ عنه كثيراً في القرآن الكريم؛ الإيمان بمتانة الأعمال وإتقانها، والعمل الصالح الذي لا يعرف الكلل إلى حد لا يصدق، وقد كان صبوراً وحريصاً على مواصلة العمل ومثابراً بشكل يبعث الحيرة والدهشة في الإنسان.

* لم يتردد الإمام الجليل لحظة واحدة في السير في طريق الله، ولم يدخر ذرة واحدة مما في وسعه دون أن يستفيد منها في طي هذا الطريق، وظل مثابراً ـ بكل ما أتي من طاقة وفي كل آن من آناء حياته ـ في السعي الحثيث لبلوغ ذلك الهدف السامي والمقدس، وقد أعانه الله على ذلك.

* في واقعة الفيضية، وبعد أن حصلت تلك الواقعة، طفق بعض الأشخاص يقولون: (لا فائدة من النضال، وأنتم تحاولون تحقيق شيء دون جدوى). ومرة أخرى شاعت هذه الأفكار بعد قيام الشاه بنفي الإمام عام ١٩٦٤ وأخذت تتردد على ألسن الكثيرين تلك الأفكار القائلة: أنه بذل جهوده دون طائل وبقي يحاول تحقيق ما لا يمكن تحقيقه، دون جدوى.

هذا في الوقت الذي كانت فيه ظواهر الأمور تشير إلى مثل هذه النتائج، ولو أراد شخص أن يتدبر في ذلك ويفكر في حساباته من خلال العقل والمنطق العادي الذي يقول أن (٢+٢=٤) فإنه لا يحصل إلا على تلك النتيجة ذاتها طبقاً للتوقعات الاعتيادية.

لكن ذلك الشيء الذي كان يجعل الإمام لا يفقد أمله على الرغم من كل هذه الأراجيف ويستمر في حركته هو إحساسه بالتكليف الإلهي.

* بعد عودة الإمام من باريس، لو فرضنا أن ما حدث لم يحدث أو حدث العكس منه. ولو فرضنا أننا قُتلنا جميعاً نحن المحيطين بالإمام والمرتبطين به، وتم اعتقال الإمام ونفيه من جديد وقمع الشعب كله. لما أحسّ الإمام بالهزيمة والفشل ولبقي يؤمن بقوة أننا نحن المنتصرون، وقد حصل هذا الانتصار بالفعل ـ إذ أن من يعمل من أجل القيام بالتكليف الشرعي يتحقق انتصاره بأن يوفق للعمل بتكليفه وأداء واجبه الملقى على عاتقه لا بحصوله على مقصوده.

إنّ الخروج إلى البادية أفضل من جلوس العاطلين.

فإن لم أحقق ما أريد فقد سعيت بكل ما أستطيع.

* حينما يفتحون صحيفة أعمالنا يوم القيامة، فمن لم يفهم هذه الحقيقة في الدنيا ولم يؤمن بها وغفل عنها، حينها سيرى الشريط المسجّل لأعماله أمامه، ويرى أعماله كلها فيها يصاب بالدهشة والتعجب!! فيقول:

﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾.

علينا أن نتذكر هذه الحقيقة في كل أعمالنا وحركاتنا وهذا هو درس الإسلام الكبير الذي علمنا إياه معلمنا الكبير في هذا العصر، وإمامنا الفذ الذي كان عاملاً بالإسلام ولم يكتف بترديد كلماته بلسانه وحنجرته، بل كان ذلك يترشح من أعماق وجوده.

كان درسه الأبلغ لنا هو أن نحتفظ بالنية الصالحة في أعمالنا وأن نحافظ على القصد الخالص والنية الإلهية دائماً، ولو لم تكن لديه هو مثل هذه النية لما وصلت الثورة إلى ما وصلت إليه.

ولو لم تكن مثل تلك النية الإلهية لدى هذه الأمة المسلمة المؤمنة المطيعة لله المحبة للإمام الفذ الجليل، وكانت تنطوي على نوايا دنيوية وأهواء نفسية وأهداف فردية ومطامع فئوية لما وصلت الثورة إلى هنا إنما هو الإيمان الخالص والنوايا الصادقة والنفوس المفعمة بالإخلاص والصفاء.

* لقد كان الإمام (رضوان الله تعالى عليه) آية لنا في التقوى، ولذلك فإن النجاحات التي حققتها الثورة مدينة بالدرجة الأولى للتقوى القلبية لذلك القائد الزعيم والنموذج المجسد للتقوى، ونأمل أن يرضي الله عنا روح ذلك الإمام العزيز.

* تمكن الإمام من تحقيق هذه المعجزة الكبرى في التاريخ ـ بعد معجزات الأنبياء والأولياء ـ أثر الإخلاص والإرتباط بالله والتقوى.

*حسب اعتقادي فإن صفاء الروح، وإخلاص هذا الرجل، وتلك العلاقة المعنوية والارتباط الوثيق بين قلبه والله ـ مقلب القلوب ـ قد أدت إلى أن يتمكن ذلك الإنسان ـ الذي كان منزوياً في الظاهر ولا يتجاوز تأثيره آنذاك حدود بيته ومدرسته ـ أن يصبح يداً قوية لتغيير صرح القيم المادية على الصعيد العالمي.

* لأنه كان من الرجال الإلهيين ولأنه لم يكن يعمل لتحقيق منفعته الذاتية، فقد أعانه الله. وقد منّ الله على عبده الصالح بالهداية ووهب له ذهناً صافياً وقّاداً كي يهتدي إلى الطريق وأعطاه الله الجرأة والشهامة ليستطيع الوقوف بوجه

دنيوية الأعداء، وقد كان قلبه يأنس بالله ولا يشعر بالوحشة في أيام الغربة وحالات الأعراض والصدود عنه.

* لا يمكن طي الطريق دون الدعاء والتضرع والتوسل بالله عزوجل. وحسب اعتقادي أن هذه الخصلة من خصال الإمام، بالإضافة إلى تلك الإرادة وذلك الحزم اللذين تحلّى بهما، كانت إحدى أكثر الخصال المصيرية أهمية في تحقيق هذا الرجل نجاحاته العديدة.

*إنّ الإمام تمكن ـ من خلال ارتباطه بالله ـ من إيجاد هذه الحركة العظيمة في العالم.

*إنني أعتقد أن إمامنا العظيم والمنقطع النظير الذي لا نجد له نظيراً بين أناس هذا الزمان، ويأتي من حيث المنزلة بعد أئمة الهدى وأولياء الله، لو لم يكن يأنس بهذه الأمور، بالمناجاة والدعاء، ولو لم يكن من أهل التضرع والاستغفار والاستغاثة والبكاء والمناجاة والدعاء والتوسل، لكان من المستبعد أن يحصل على كل هذا التوفيق من قبل الله تبارك وتعالى.

وأن النجاح الذي حققه هذا الإنسان الفذ رهين ـ إلى حد كبير ـ بهذا الارتباط بالله ورهين بانفتاح قلبه على مصراعيه على الحضرة الإلهية والتزامه دائماً بالاستغاثة والمناجاة والدعاء وأمثال هذه الطاعات.

لقد كان هذا الرجل الروحاني والإلهي يتقدم في كل لحظة من لحظات هذه السنوات الأخيرة ـ وبعد كل شهر رمضان يمر عليه يحس المرء أنه صار ذا وجه نوراني يتألق الضياء منه أكثر فأكثر وان الله دائم الهداية والتسديد له.

ولم يكن الطريق الذي طويناه سائرين خلف الإمام خلال السنوات العشر أو الإحدى عشرة الماضية طريقاً يمكن أن يُطوي بشكل طبيعي دون هداية وعون ودعم الهي، وليس من الممكن أن يطوي شعب أو قيادة أو شخص مثل هذا الطريق من دون أن يتمتع بتسديد الله.

* لقد كان قلب إمامنا يتلقى، في بعض الحالات، الإلهامات الغيبية، وإن كلماته تبدو أحياناً وكأنها مستندة إلى الوحي.

* إنّ تغييراً أحوال هذا الشعب نفسه إلى مثل هذا الوضع لم يكن ممكناً إلا من خلال يد مقتدرة لإنسان معنوي إلهي متصل بمصدر القدرة الربانية.

*وببركة قيادة الإمام والهداية الإلهية، اجتزنا منعطفات عجيبة ومعابر وعرة، ومثلما قال إمامنا الجليل مراراً فإن يداً هادية كانت تدفعنا إلى الأمام وتسديد خطانا وتفتح لنا الطريق، منذ بداية النهضة وحتى الآن، وهذا لم يكن ممكناً دون الصفاء والجهاد والإخلاص والنورانية.

* كان إنساناً عارفاً ذا ارتباط دائم بالله، وفي الوقت نفسه كان قائداً حازماً.

*من الخصائص الفريدة عند الإمام، إنه عندما يُطرح عنده كلام ما فإنه لا يغتاظ ولا يُستفز فيعطي جوابه مستعجلاً، ولكنه كان يقول مباشرة ما يراه صحيحاً.

* كان يتحكم في أهوائه ويسيطر على رغباته النفسية. ولم تكن أهواؤه وميوله هي المسيطرة عليه، وفي نفس الوقت فإنه كان بمنتهى التواضع، وفي

قمة الصبر والحلم، ولم تكن النوازل الضخمة والوقائع الكبرى تحدث الأمـواج المتلاطمة في بحر صبره العظيم. وقد حصل مراراً أن لذنا بـه نحـن مـسؤولي البلاد للتخفيف من صعوبة العمل وثقل المسؤولية.

*كان الإمام يتغلب على المصائب، ولم يترك العمل والسعي الـدائب حتـى وهو في سن الشيخوخة.

*الحمد لله أنه ليس هناك شيء خفي من حياة الإمام عنا وعنكم وعـن كـل الشعب الإيراني، فالجميع رأوا أن تحركه كان لله، وكلامه لله، وسكوته لله، وكل عمل يقوم به كان يقصد به وجه الله.

وهذا الشيء لوحده أدى إلى أن تتحقق على يد ذلك الإنسان الفـذ ـ الـذي يلي الأنبياء والأئمة من حيث المنزلة ـ هذه المعجـزة ويـتم كـل هـذا التغييـر العالمي العظيم إثر وقوع الثورة الإسلامية.

حقاً، كانت الثورة الإسلامية معجزة تحققت على يدي الإمـام، وقـد تمكـن الإمام من القيام بهذا الإنجاز معتمداً على (أن تقوموا لله).

*لو لم يكن لديه ذلك الارتباط بالله، أي تلـك العبوديـة والتعبـد لله وذلـك الإخلاص له عز وجل وعدم ملاحظة أي شيء آخر... لو لم يكن لديه كل ذلك لما تمكن من تحقيق كل هذا النجاح.

*هذا الرجل العظيم، كانت حياته لله، ووفاته أيضاً.

*الكثيرون كانوا يرونه لكنهم يجهلونه، ويشبّهونه بالناس العاديين، لكن جوهره الوضاء قد اتضح بعون الله.

*العبودية لله، والخشوع والخضوع له والتسليم المطلق في قباله والعمل من أجل مرضاة الله، هي السر الأصلي للنجاحات التي حققها شعبنا، وكان إمامنا يمثل تجسيداً كاملاً لهذه الخصائص الروحية.

*من أجل توضيح شخصية إمامنا، ذلك الإنسان الشريف والمسلم المتقي، ليس هناك أفضل من اللجوء إلى القرآن الكريم، ونبحث عن صفاته وخصاله الرائعة في ثنايا آياته الهادية التي تصف عباد الله الصالحين. إنه ومن خلال الجهاد والهجرة التي تجعل المؤمنين ينخرطون في نطاق الولاية الإلهية، كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾.

لقد أبدى إمامنا العزيز هذه الصرامة والحزم في الكثير من الحالات التي تثير الدهشة والحيرة والذهول لدى جميع الأصدقاء والأعداء على صعيد العالم... وكنموذج على ذلك ما رأيناه عنه في قضايا الحرب وفي قضية الموافقة على قرار وقف إطلاق النار بين إيران والعراق، وفي مختلف الأمور السياسية للبلاد، فإن الحزم في أداء الواجب وإنجاز المهام أحد أبرز خصائص الإمام. وكان يمثل تجسيداً لنهج أمير المؤمنين عليه السلام.

* والله لو لم يكن لدى الإمام ذلك الحزم وتلك الصلابة وعدم المجاملة والمحاباة إزاء مختلف القضايا لكانت الثورة قد وسّدت الثرى وانتهى أمرها منذ

زمن طويل، بل لو لم تكن لدى الإمام تلك الصرامة لما انتصرت الثورة أصلاً ولا قامت الجمهورية الإسلامية أبداً.

* لم يكن باستطاعة أي أحد أن يحرك الشعب الإيراني سوى تلك اليد الشديدة البأس، وكل هذا مرده إلى شخصيته هو الإخلاص والتوجه إلى الله، اللذين جعلاه متصلاً بالله مجسداً في عمله معنى ﴿إياك نستعين﴾ أي أنه جعل نفسه متصلةً بمصدر القوة الخالدة.

* ليس باستطاعة أي إنسان ـ مهما أوتي من القوة الجسمية والعقلية والسياسية ـ أن يتحمل ثقل هذا العبء. فالقدرة على تحمل هذا العبء تستلزم شيئاً آخر كان يمتلكه الإمام وهو عبارة عن الخلوص والصفاء فيما بينه وبين الله.

وعلى هذا الأساس، فلا يظنن أحد أن الإمام كان قد تمكن من إيصال الثورة إلى الانتصار بواسطة الحكمة والقوة العقلية والخصائص البشرية العادية التي كانت لديه، وطبعاً فإن الإمام كان متوفراً على هذه الخصائص كلها.

لقد أثر إخلاص ذلك الرجل الإلهي الكبير في أجواء هذا المجتمع حتى بعد وفاته، وجعل القلوب تقترب من بعضها البعض ويأنس أحدها بالآخر، ووثق الروابط فيما بين الناس.

* لو كان لدى هذا الإنسان الفذ كل هذه الخصائص الإيجابية من قبيل العلم والحزم والنبوغ والشجاعة والإرادة، ونفس تلك الأمور التي كانت مشهودة لديه

بوضوح، وكان يفتقد الإخلاص والارتباط بالله والتنزه عن الشرك وتجنب أهوائه وأهواء الآخرين لما توصّل إلى تحقيق هذه النجاحات التي حققها.

* هذان العنصران: إخلاص القائد وارتباطه مع الله هما اللذان أوصلانا إلى هنا.

*هنا نقطة مهمة في حياة الإمام، كانت هي النقطة الأساس وهي التوجه إلى الله والاستمداد منه والاستعانة به.

* حقاً أنه كان يملك التوكل على الله وحسن الظن به، ولم يكن هناك أي عمل يخرج عن القدرة الإلهية، في رأيه.

في اليوم الذي أعلن فيه سياسة اللاشرقية ولا غربية، كان عدد الذين يؤمنون بإمكانية إيجاد حكومة لا تعتمد على الشرق والغرب في إدارتها، قليلاً جداً.

وفي اليوم الذي صرح فيه قائلاً أن أميركا لا يمكنها أن ترتكب أية حماقة، كان عدد الذين يؤمنون بذلك قليلاً جداً.

لقد أنجز هو كل هذه الأعمال الضخمة، وكان يؤمن بتمكنه من انجازها، بسبب توكله على الله، رغم أنه كان يعتبر نجاح العمل ليس هدفاً بحد ذاته، فهو كان يقوم بوظيفته فقط.

* لقد كان الإمام ممن يصدق عليهم ﴿ومن يتوكل على الله﴾ ونظراً لارتباطه بالله فقد منّ الله عليه فأفضاله العديدة، وهكذا فإننا نحن أيضاً سنواصل السير

في طريقه معتمدين على نفس ذاك التوكل والإخلاص ونفس ذلك السعي الدؤوب والتصميم.

* إنّ الشيء الذي مكن الإمام من هداية هذا الشعب وهذه الثورة العظيمة وإدارتهما وقيادتهما هو: الارتباط بالله والاتصال به والتوجه إليه والتوكل عليه.

* بعد بضعة أيام سيبدأ شهر رمضان الذي هو ربيع بناء الذات وربيع تجديد الإنسان بناء ذاته من جديد، وربيع الاستئناس بالله، وينبغي أن لا نغفل عن هذه الناحية، لأن كل الأخطاء والاشتباهات تنشأ من عدم الاهتمام بهذه القضية. لقد كان ذلك الاهتمام ديدن الإمام الراحل العظيم، وكان قلبه متنوراً بنور المعرفة وهداية الله، وهو الشخص الذي كانت إشارته تفتح الطريق أمامنا وأمام شعبنا وعشاق الإسلام في العالم.

أجل كان ديدن الإمام ومنهجه يقومان على الارتباط بالله تبارك وتعالى.

* إنّ عباد الله اللائقين ـ وهم من أمثال إمامنا الفذ الجليل ـ يعرفون حقاً منزلة شهر رمضان وأهمية تلك الأيام والساعات، ويستفيدون منها تمام الاستفادة.

* كلنا نحتاج إلى إحداث التغيير في أخلاقنا وأمورنا الروحية وأنني كثيراً ما خطر في ذهني طوال هذه السنوات المنصرمة أن قسماً مهماً من انتصاراتنا ناشئ من القضايا الروحية والمزايا المعنوية التي كان يتمتع بها سماحة الإمام شخصياً.

فذلك الإنسان الجليل الفذ ـ وعلاوة على كونه حقاً وإنصافاً ينطوي على ذات طاهرة وكل الذين يعرفونه منذ زمن طويل يؤكدون أنه كان شخصاً ممتازاً أخضع نفسه لأنواع التربية والرياضيات الروحية، وأتعب نفسه في بناء ذاته ـ لم يتوقف عن مسيرة التكامل بل كان في حالة تطور دائم مستمر، وهذا ما أحسسنا به في عهد هذه الثورة.

وهذا مثلما كان عليه الوجود المبارك للنبي الأكرم ﷺ والأئمة وأولياء الله، إذ ظلوا في حالة تكامل وتطور وتبدّل دائم حتى حانت لحظة وفاتهم، فالرسول الأكرم لم يكن حين الوفاة مثلما كان عليه حين البعثة، وفي مدة الـ٢٣ سنة، حصل لديه تكامل وتسامٍ كبير يعتبر مدهشاً بالنسبة لنا نحن الأشخاص العاديون.

وهذا هو حال الإنسان المؤمن، فهو يتقدم ويتطور بين لحظة وأخرى، وهكذا كان الإمام بالضبط، وخصوصاً في مواقف وأوقات خاصة مثل شهر رمضان، حيث كان يمتنع في هذه الشهور عن اللقاءات العامة وينكب على نفسه وينشغل بها، ولذلك فبعد أن يلتقيه المرء بعد شهر رمضان يحس أنه أصبح نورانياً أكثر مما كان عليه قبل شهر رمضان، وأكثر توفراً على القضايا المعنوية، ويقيناً أن الكثير من النجاحات التي حظيت بها الثورة وحققها الشعب يعود الفضل فيها إلى ذلك المركز الفوّار النيّر.

سماحة الإمام هو المقتدى في الأمور المعنوية

*** إنّ عظمة هذا الإمام الفذ الذي يُدخل اسمه وذكره الرعب والخوف في قلوب القوى الطاغوتية ويهز قصورهم، ناشئة من الإسلام، لأنه كان يعتبر نفسه خادماً للإسلام والمسلمين، ولهذا فإن عظمة الإمام ناشئة من عظمة الإسلام، ولقد استطاع بجهاده وجهاد شعبه أن يظهر عظمة الإسلام هذه.**

*** إنّ الإمام تمكن من تبديد لتلك الأفكار الخاطئة التي كانت شائعة قبل انتصار الثورة لفترة من الزمن، لقد ربط بنظره الثاقب إلى قضية عاشوراء بين الاتجاه السياسي الذي يظهر البعد الثوري فيها والاتجاه العاطفي تلك القضية، وأحيا سنة قراءة المراثي وإقامة مجالس التعزية وذكر المصائب التي جرت على أهل البيت.**

ولقد أفهم الناس أن هذه الأمور ليست زائدة أو هي مجرد ترف لا أهمية له أو قضية أصبحت منسوخة في مجتمعنا، بل هي شيء ضروري. وكان يؤكد أن إقامة المجالس الحسينية وذكر المصائب التي جرت على الحسين في عاشوراء وبيان فضائل ذلك الإمام العظيم بالشكل التقليدي الشائع والمثير للبكاء والعواطف الحزينة والمؤثرة في القلوب، يجب أن تبقى شائعة بين الناس، بل وينبغي نشرها وتقويتها أكثر مما عليه الآن سواء على شكل قراءة المراثي أو مراسم العزاء المختلفة. وأكد مراراً على هذا الموضوع، ونفذه هو شخصياً.

*** من الأمور التي كان إمامنا الجليل يوصي بها كثيراً: حفظ علماء الدين، وصيانة نفس الروابط القديمة والمتعارفة بين الناس، والمحافظة على تلك**

الأعمال التي تقوي التقوى والورع والإيمان والالتزام الشديد بالدين، واجتناب أي شيء يسيء إليها وهذه أمور ينبغي الاهتمام بها كثيراً.

* إنّ سبب تمكننا ـ نحن الشعب الإيراني ـ من المقاومة والثبات بوجه كل المشاكل التي كانت قائمة، وصد الهجمات التي شنها الأعداء بحيث أنها أدت إلى إصابتهم بأضرار أكثر من أضرارنا، هو امتلاك شعبنا شعوراً ثورياً، وتقوي ثورية، ووحدة الكلمة التي كانت هي السائدة فيما بين أبناء الشعب، وببركة الدين وببركة الإيمان بالثورة، وببركة الإسلام، وببركة تلك الشخصية العظيمة التي كانت بياناتها وأقوالها تتضمن مضامين القرآن والإسلام وببركة التعليم القرآني والإسلامي تمكن شعبنا خلال هذه السنوات العشر المقاومة والثبات، وما زال العدو لم يغض الطرف عن مهاجمتنا.

* إنّ للإيمان والعقيدة القلبية دوراً كبيراً وبنّاءً في تقوية الجيش، وأن مظهر هذه الحركة هو الإمام، إذا كان متديناً حقيقياً، وقد كان ذلك من أهم وسائل قوته وأسبابها، وخلافاً للمزاعم التي تقول أن الدين أفيون الشعوب فإن الدين محركها وباعثها ومغيرها.

حكمة سماحة الإمام رضوان الله عليه

* لقد علمنا الإمام دائماً أننا قادرون على إنجاز الأعمال، وكان يحذرنا من أي خوف أو تردد، ويجب أن يكون سعينا منصباً على توحيد القلوب وشحذ

الهمم وطي الطريق كي نصل إن شاء الله إلى غايتنا العليا والأشياء التي كان يلفت إليها أنظارنا ويقودنا نحوها.

*من الخصائص الممتازة في قائدنا الكبير والفقيد أنه كان ذا همة عالية لا يتصور كيفيتها الناس العاديون، فكان يختار الأهداف العليا ويحث الخطى لبلوغها.

حينما كان الناس العاديون من ذوي الحسابات المادية يرون الهدف الذي حدّده الإمام، كانوا يتعجبون من ذلك ويرددون القول: هل يمكن الوصول إلى مثل هذا الهدف؟

ولكن همته العالية تلك، مضافاً إليها الإيمان والتوكل وعدم الكلل والملل في التحرك والطاقات الكبرى والكامنة في وجود هذا الرجل العظيم ومهاراته المدهشة، كلها تتضافر ويبدأ تحركه نحو ذلك الهدف، وفجأة يرى الجميع أن ذلك الهدف ممكن التحقيق، وهكذا كان منذ بداية النضال.

* لم يكن سماحته بالنسبة لشعبنا مجرد قائد فحسب، بل كان يُعد معلماً كبيراً وأباً رحيماً، ومرشداً حكيماً.

*كان الإمام حكيماً بالمعنى الحقيقي للكلمة.. الحكمة بمعناها الحقيقي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.

فقد وهبه الله تعالى ذلك النوع من الحكمة.

كما وهبه الله بصيرة كان يرى من خلالها بعض الأمور التي كنا عاجزين عن رؤيتها مهما بذلنا من الدقة والتأمل والتفحص، بينما كان هو يراها بنظرة عابرة.

فكانت كلماته منطلقة من قلب كهذا، وناتجة من حكمة كهذه.

* حقاً، لقد كان الإمام حكيماً، وتصدق عليه عبارة (صيرورة النفس عالماً عقلياً مشابهاً للعالم العيني). كان ذلك الرجل الملكوتي والإلهي مصداق هذه العبارة الكامل، ويحس الإنسان أن جميع الحقائق كانت تنعكس في كيانه.

كان يرى الأشياء بوضوح وجلاء لا بالاستدلال وتمهيد المقدمات العادية. كان يدرك ـ عبر نورانيته النفسية وحكمته ـ أموراً يحتاج الإنسان العادي لإدراكها إلى بذل جهود شاقة، كالأعمى الذي يبحث ـ متوكئاً على عصاه ـ عن الشيء بنظرة واحدة رحمانية ونورانية واجتازه وعبر من جانبه.

حقاً لقد كان حكيماً إلهياً ذلك الرجل المجرب الخبير المخلص المتحرق الذي أدار هذه الأمة مدة عشر سنوات.

*كان عقل الإمام من أرجح العقول، وإنني لم أشاهد إنساناً عاقلاً بمثل مستواه طيلة عمري. لقد كان إنساناً عاقلاً بعيد النظر، وحكيماً خبيراً بالأشخاص، وكان ممن لا يمكن أن يُخدع.

وأن مجموعة الخصائص التي كانت لدى الإمام ليست نادرة التوفر عند الأشخاص العاديين الآخرين فحسب، وإنما لو كانت إحداها موجودة عند امرئ فإنه يكون إنساناً عظيماً.

ذكريات معنوية عن الإمام

* كان الإمام لا يرتقي المنبر عن إلقائه دروسه في الحوزة العلمية بقم وإنما يجلس على الأرض. وبعد أن كثر الطلاب وصار يحدث الازدحام عند الدرس، أراد الطلبة أن يوفقوا للنظر إلى وجهه الكريم وسماع صوته الشريف بشكل أفضل، فطلبوا منه بإصرار أن يرتقي المنبر عند التدريس وأظن أنه وافق على ذلك بعد وفاة المرحوم آية الله البروجردي (رضوان الله تعالى عليه)، وحسب ما أتذكر فما دام ذلك العالم الجليل حياً، لم يكن الإمام يرتقي المنبر.

وفي أول يوم جلس فيه الإمام على المنبر بدأ يوجه النصائح والمواعظ للطلبة وأمضى درسه كله في ذلك اليوم بهذا الشيء. وأتذكر أنه قال ـ وكنت حاضراً في ذلك الدرس ـ بعد البسملة:

(لقد بكى المرحوم النائيني (رحمة الله عليه) بعد ارتقائه المنبر أول مرة للتدريس، وقال إن هذا المنبر الذي كان يرتقيه الشيخ الأنصاري وقد تحتم عليّ أن ارتقيه).

* كنا في أحد الأيام بحضرة الإمام، ولا أتذكر هل كان الزائرون أعضاء مجلس الخبراء أم هم أئمة الجمعة، ولكن القدر المتيقن أن الحاضرين كانوا من كبار الفضلاء والأساتذة المرموقين في الحوزة العلمية، وكان عددهم ما بين الأربعين والخمسين شخصاً، وجرى الحديث بحضرته عن أوضاع مدينة قم وحوزتها.

وكان المتحدث في الجلسة أحد كبار العلماء والأساتذة، ويحظى باحترامنا وتأييدنا جميعاً، فقال مخاطباً سماحة الإمام:

المأمول منكم أن تهتموا بقم أكثر وتوجهوا إليها مزيداً من العناية.

فقال له الإمام:

هذه الأمور ليست ضرورية، عليكم أن تركزوا اهتمامكم على أمرين فقط، أما الباقي فاتركوه جانباً وسيصلح كل شيء فيما بعد:

الأول: التفقه.

الثاني: الأخلاق والتهذيب.

ولا أتذكر الآن جيداً عين عبارة الإمام، بيد أنني أظن أنه قال: (احذروا من أن تنطفئ شعلة التفقه هذه).

٢ـ الشخصية السياسية والاجتماعية لسماحة الإمام الخميني قدس سره

آثار نهضة الإمام قدس سره

* أود أن أتحدث في الخطبة الأولى لصلاة الجمعة في هذا اليوم عن إمامنا العزيز، لكنني أعتقد أن من المبكر الآن أن نعرف نحن ويعرف المحللون العالميون إمامنا الجليل الفذ بشكل دقيق وكامل. فهو شخصية عظيمة يندر وجود مثيل لها ـ بعد الأنبياء والأولياء ـ إذ تظهر مثل هذه الشخصيات في مراحل معينة من التاريخ فتقوم بإنجاز أعمال كبرى ومنجزات ضخمة، وتضيء في السماء كالبرق فيمتد نورها إلى كل مكان من الفضاء ثم تمضي.

لقد قام إمامنا الجليل الفذ بأعمال كبرى تتناسب ضخامتها مع عظمة الإمام نفسه وسأتحدث اليوم عن بعض ما أنجزه الإمام العظيم على سبيل التذكير.

ويقيناً أن لو اجتمع المفكرون والمحللون وأردوا كتابة قائمة بالإنجازات التي تمكن الإمام من القيام بها لكانت تلك القائمة تضم منها أضعافاً مضاعفة لما سوف أقوله الآن.

أولاً: إحياء الإسلام.

منذ قرنين من الزمن والأجهزة الاستعمارية تسعى جاهدة إلى إيداع الإسلام في ملف النسيان، ومنذ ذلك اليوم الذي دعا فيه أحد رؤساء الوزراء الإنكليز إلى محاصرة الإسلام وجعله منزوياً في البلدان الإسلامية. وكان الحاضرون هم

الساسة الاستعماريون في العالم. ومنذ ما قبل ذلك اليوم وما بعده أنفقت أموال طائلة لإزاحة الإسلام جانباً من ميدان الحياة بالدرجة الأولى ومن العقول ومن السلوك الفردي للناس بالدرجة الثانية، لأنهم كانوا يعلمون أن الإسلام هو العقبة الكبرى في طريق استمرار ممارسة القوى الكبرى والاستكبارية في النهب والهيمنة.

الإمام الخميني أعاد الإسلام ـ من جديد ـ إلى الأذهان والعقول والى السلوك الفردي والى الساحة العالمية، وأحيا الإسلام مرة أخرى.

* إنّ النجاحات الكبرى التي حققها الإمام تتمثل في أنه استطاع توطيد أسس القيم الإلهية ونشرها ورفع لوائها في عالم كانت تشير فيه كل الأدلة إلى انزواء الدين وتفتت أركانه وتلاشي صورته وطغيان التصورات المادية وسيادة الأخلاق المادية وشيوع الأساليب المادية وانتشار هيمنة الأهواء الشيطانية والبشرية، وفي عالم صار يغرق في بحر من القذارات.

ثانياً: إعادة روح العزة للمسلمين.

* لم يصبح الإسلام موضع اهتمام الباحثين المحللين في الجامعات والمجتمعات الإنسانية وفي حياة الناس فقط بل وبدأ المسلمون في كل أنحاء العالم يشعرون بالعزة أثر نهضة الإمام.

قال لي مسلم من أحد البلدان الكبرى التي تعيش فيها أقلية من المسلمين: لم نكن نجرؤ قبل انتصار الثورة الإسلامية على المجاهرة بأسمائنا الإسلامية(ويبدو

أن من الشائع هناك أن يطلق الأشخاص على أنفسهم أسماء محلية، وتطلق العوائل المسلمة على أبنائها أسماءً إسلامية) بل كنا نخجل من إطلاق تلك الأسماء على أبنائنا جهاراً، لكننا صرنا نفتخر بعد نجاح ثورتكم بإطلاق الأسماء الإسلامية علناً. وعندما يُسأل الأشخاص عن هويتهم فإنهم يجيبون أولاً بإسمهم الإسلامي وهم يفتخرون به، وهكذا فإن مسلمي العالم طفقوا يشعرون بالعزة ويفخرون بكونهم مسلمين.

*ونتيجة لما قام به الإمام طفق الذين كانوا يخجلون من مجرد ذكر اسم الدين على ألسنتهم، يلهجون بذكر القيم الدينية ويفخرون بامتلاكهم القيم الدينية، وهذا انجاز عملاق، وهو عمل لا يمكن مقارنته إلا بما قام به الأنبياء. ولا يمكن أن يُقاس بأي عمل آخر.

ثالثاً: بروز الأمة الإسلامية على المسرح العالمي

* قبل اليوم: كان المسلمون القاطنون في أنحاء العالم كلٌّ في حدد منطقة سكناه، ولم يكن هناك شيء يُذكر باسم الأمة الإسلامية على الصعيد العالمي.

أما اليوم فإن المسلمين سواءً كانوا في أقصى مناطق آسيا وحتى قلب أفريقيا وفي الشرق الأوسط كله وأوروبا وأميركا، يشعرون أنهم جزء من مجتمع عالمي كبير، أي جزء من الأمة الإسلامية، وهذا الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية أوجده الإمام في هذا العالم، وهو أكبر حربة يمكن أن تُشهر بوجه الاستكبار للدفاع عن الشعوب الإسلامية.

* إنّ هناك قضية أساسية في الثورة الإسلامية في إيران، وفي التحرك العظيم الذي أوجده الإمام وهي عبارة عن الاهتمام بالأمة الإسلامية والعلاقة العميقة والقوية بين مسلمي العالم على الرغم من وجود الفواصل الجغرافية والاختلافات العرقية واللغوية فيما بينهم، ولربما كانت هذه القضية من بين القضايا القليلة التي تتطلب بالدرجة الأولى اهتمام مسلمي العالم كلهم بها.

رابعاً: الإطاحة بأحد أكثر الأنظمة رجعية وعمالة في المنطقة والعالم.

* إنّ إزالة الحكم الشاهنشاهي ومحو النظام الملكي عن إيران يعتبر أحد أضخم الانجازات التي يمكن تصورها في منطقة الخليج الفارسي والشرق الأوسط، فقد كانت إيران قلعة للإستعمار وقد انهارت هذه القلعة على يد الإمام.

* لقد اهتز صرح القيم المادية والمواثيق المادية والمسلمات المادية بحركة هذا الرجل.

خامساً: إقامة حكومة على أساس الإسلام

* لم يكن يخطر بذهن المسلمين وغير المسلمين في العالم أن يقوم نظام سياسي اجتماعي يستند على أساس دين من الأديان، وأكثر من ذلك ـ يستند إلى الإسلام.

كان هذا حلماً ورد ياً يداعب أجفان البسطاء السذج من المسلمين ولم يتصوروا مطلقاً أنه يستحقق عملياً في يوم من الأيام، وقد حوّل الإمام هذا

التصور الخرافي الخيالي إلى كيان حقيقي له وجود مشهود، فكان ذلك بمثابة المعجزة.!

* لقد أنشأ الإمام الخميني صرح نظام مبني على أساس القيم الأخلاقية المعنوية وعلى أساس الدين في عصر كانت القوى الكبرى تسعى حثيثاً لمحاصرة القيم الأخلاقية وجعلها تعاني الانزواء.

ولقد أثبت الإمام الخميني أن الإسلام ما زال حياً ويمكنه أن يكون أساساً متيناً لنظام اجتماعي.

سادساً: إيجاد النهضة الإسلامية في العالم

* قبل انتصار الثورة الإسلامية، كانت هناك العديد من الفئات والمنظمات والكثير من الشباب المعارضين الناقمين، وعشاق الحرية في كثير من البلدان ومن جملتها البلدان الإسلامية، بيد أنهم كانوا يدخلون ساحة النضال وميدان الكفاح وهم يحملون الأفكار اليسارية.

أما اليوم، فأينما وجدت جمعية أو تنظيم يتحرك بدافع التحرر ومناوأة الاستكبار ـ في أية منطقة من أنحاء العالم الإسلامي المترامي الأطراف ـ تقوم أسسه الفكرية وتُبتنى أركان عمله وتحركه على أساس الفكر الإسلامي ويمثل الإسلام أملهم الوطيد، وقد بانت بوادر الصحوة الإسلامية وانتشرت النهضة الإسلامية في كل مكان.

* إن الثورة التي أوجدها الإمام ووقع عليها شهداؤنا بدمائهم القانية وعطروها بشذى الدم الأحمر صارت مشهودة في شتى أرجاء العالم وتعرب عن حضورها في كل مكان من خلال الصحوة التي عمت الشعوب المظلومة ومن خلال تجديد حياة المجتمعات الإسلامية، وعبر التعزيز المستمر لأسس القضايا المعنوية، وانهيار المادية سواء الصريحة منها أو المغطاة بالنفاق والدجل، وبالجملة فإنها طفقت تبرهن عن وجودها من خلال شموخ الحق واندحار الباطل.

* إنّ إحدى أعظم الخدمات التي أدتها الثورة الإسلامية وإمامها وقائدها الجليل للشعب المسلم والإسلام هو إيجاد الحافز في القلوب نحو التضحية في سبيل الله. حتى غدت هناك الكثير من النفوس الطيبة في بلدنا وفي البلدان الإسلامية الأخرى مستعدة للسعي الدائب وبذل الجهود في سبيل الله، وتحمل المشاق والصعاب تقرباً إليه.

سابعاً: إيجاد رؤية جديدة في فقه الشيعة

* كانت لفقهنا ـ وما تزال ـ قواعد مستحكمة وقوية. وإن الفقه الشيعي هو أحد أقوى أنماط الفقه ومناهجه، ويستند إلى أسس وأصول قوية للغاية، وقد نشر إمامنا العزيز هذا الفقه المستحكم على صعيد واسع وأضفى عليه نظرة عالمية وأمدّه برؤية حكومية وأوضح لنا أبعاداً من الفقه كانت خفية من قبل.

ثامناً: دحض الاعتقادات الخاطئة في باب الأخلاق الفردية للحكام.

***كان من المقبول في العالم أن تكون لأفراد الطبقة الحاكمة والمسؤولين الكبار في الحكومات المختلفة أخلاق خاصة وسلوك من نمط معين من قبيل التكبر، والأبهة الظاهرية، والترف والإسراف، والاستبداد بالرأي والإعجاب بالنفس والأنانية وأمثالها.**

هذه الأمور صارت بحكم الأخلاق المسلم بها لدى الحكام حتى في الدول الثورية ـ فالذين كانوا حتى الأمس القريب ثواراً يقطنون الخيام ويتخفون في السراديب والقبور، بمجرد أن يصلوا إلى الحكم ويتسلموا زمام الحكومة يرى المرء أن وضع حياتهم قد تغير، وتغيرت أخلاقهم وسيرتهم، وصار وضعهم يشبه أوضاع بقية الحكام والسلاطين والرؤساء الموجودين في العالم. وقد رأينا ذلك عن كثب، ولم يعد ذلك باعثاً على الدهشة والتعجب لدى الناس.

بيد أن إمامنا دحض هذه الفكرة الخاطئة وفندها، وبرهن أن القائد المحبوب الذي يعشقه الشعب والزعيم الكبير لمسلمي العالم، يمكنه أن يعيش حياة يسودها الزهد، ويستطيع أن يستقبل زواره في حسينية متواضعة بدلاً من القصور الفخمة والمباني الشاهقة، وأن يرتدي نظير ملابس الأنبياء ويتعامل مع الناس بأخلاق الأنبياء ولسانهم.

كما برهن أن الترف والبطر والفخفخة، والأبهة الظاهرية والإسراف والاستبداد بالرأي والتكبر والاستكبار لا يتحتم أن تكون جزءاً مهماً وسلوكاً لا

مناص منه في حياة الحكام والمسؤولين، بل ينبغي أن تكون قلوبهم مضاءة بنور المعرفة وضياء الحقيقة.

والأهم من ذلك، أن الإمام قد طبق ذلك عملياً سواءً في حياته هو أم في حياة الجهاز الذي أوجده وأقامه بفضل الباري عزوجل، وكان ذلك أحد معاجز هذا الإنسان الفذ.

* الخاصية الأخرى هي أن هذا العهد الجديد الذي أوجده الإمام هو عصر الإقبال على القيم الإنسانية واحترام العدل وحرية الإنسان، واحترام مبدأ (الإنسانية) واحترام آراء الشعب.

تلك الشخصية ومع كل ما كانت عليه من العظمة والتي اعترف بعظمتها أعداؤها كانت تقول: أن تسمّوني " خادماً" فهو أحب إلي من أن تطلقوا عليّ وصف " القائد"، أنه كان صادقاً في ما يقول ولم يقل ذلك للمجاملة أو التظاهر.

* كان الإمام الجليل يكن لكم أيها الشبان المجاهدون المخلصون محبة أبوية وكان قلبه المترع بالنور راضياً عنكم. وهذه المحبة وذلك لرضا ثروة عظيمة يجب أن تصان حرمتها والمحافظة عليها.

ولا شك أن محبة تلك الروح الطاهرة لسليل النبوة والإمامة ورضاه، لهما نفس البركات التي كانت تكمن خلال أيام حياته المباركة.

* إنّ لواء تسامي الإنسان سماء المعنويات الذي يرتفع اليوم في هذه الناحية أو تلك من أنحاء العالم هو في الحقيقة لواء إمامنا وشهدائه. إنهم أحياء وسيزداد وضوح كونهم أحياءاً يوماً بعد آخر.

تاسعاً: إحياء روح الثقة بالنفس والشموخ في الشعب الإيراني.

* أيها الأخوة الأعزاء

إنّ الحكومات الدكتاتورية التي تعاقبت على الحكم في بلدنا، بقيت أعواماً طويلة تعمل على جعل شعبنا ذليلاً خاضعاً مستسلماً، فكان هذا الشعب الذي يتمتع بطاقات هائلة وقوى جبارة وخصال استثنائية ويمتلك كل هذه المفاخر الوطنية والسياسية قد تحوّل طيلة تاريخه الذي تلى دخول الإسلام، إلى شعب ضعيف مستضعف خانع.

وقد حقّرت القوى الأجنبية هذا الشعب وأهانته، فكانت الممارسات والأعمال التي قام بها الإنكليز والروس والأمريكان وبعض الحكومات الأوروبية الأخرى، كلها تصب في هذا الإطار.

ولقد صدّق شعبنا أنه ليس شيئاً مهماً وأنها لا قابلية لديه، ولا قدرة عنده على القيام بالأعمال الكبرى، ولا يمكنه أن ينجز مهمة البناء والإعمار، ولا يستطيع أن يبدي ابتكاراً من عنده، وينبغي أن يمارس الآخرون السيادة عليه والتحكم فيه.

لقد قتل الآخرون روح الشموخ والثقة بالنفس في شعبنا، وجاء إمامنا العزيز فبعث فيه هذه الروح من جديد وأحياها. كان شعبنا قد امتلأ بالنخوة القومية في غير محلها، وبالشكل الذي كانت تريده الأيدي الاستكبارية دائماً ـ زاد النظام المنحوس السابق بإذلال الشعب الإيراني وزرع الأحاسيس القومية الخاطئة فيه،

بينما اليوم، وبفضل الإمام، صار شعبنا مبرءاً من هذه الأحاسيس وصار يشعر ـ بدلاً من ذلك ـ بالعزة والفخر والاقتدار.

وشعبنا الآن لا يخشى تضافر الشرق ولا الغرب ضده، وتكاتفهما وتآمرهما ضده، ولا يشعر بالضعف في قبالهما، وليس هذا فحسب بل أن شبابنا يشعرون أن بإمكانهم هم بناء بلدهم، ويحس أبناء هذا الشعب، أن لديهم القدرة على الوقوف بوجه أحابيل الشرق والغرب وإحباط مخططاتهما، وهذه الروح، روح العزة والثقة بالنفس والشموخ الوطني، وروح المفاخر الحقيقية والأصيلة، هي التي بعثها الإمام في جسد شعبنا وأحياها لديه.

* إنّ هذا العهد الذي بدأه الإمام الفذ الجليل له العديد من الملامح التي أهمها نفخ روح العزة والاستقلال والثقة بالنفس والاعتماد على الذات للشعب الذي سعى أعداؤه سنوات طوال أن يسلبوا ثقته ويعتدوا على استقلاله ويمحوا أي اعتماد له على ذاته، ويسلطوا الآخرين على مصيره.

هذه إحدى ملامح العصر الذي تركه لنا الإمام وأدخله في تاريخنا.

هذا هو البلد الذي جمّد فيه الرئيس الأمريكي إعطاءه مساعدة بضع عشرات الملايين من الدولارات، واشترط لإعطائها أن يصبح الشخص الفلاني ـ وهو عميل لأمريكا على رأس الحكومة. وهذا هو البلد الذي كانت أميركا ـ القوة الظالمة والمتعسفة في العالم ـ تعتبر رئيسه أحد عبيدها الخاضعين وتتعامل معه على هذا الأساس.

وهذا هو البلد الذي كانت آراء الشعب وأفكاره وتطلعاته ورغباته ليس لها أدنى تأثير في رسم سياسته الاقتصادية وتقرير مصيره السياسي.

وامتدت يد معمار الثورة وأب الجمهورية الإسلامية إلى هذا البلد لكي تحوّله وتحول شعبه إلى بلد وشعب يوجّه أقسى الإهانات وأشدها تحقيراً خلال السنوات العشر الماضية إلى نفس تلك القوى العنود المتغطرسة.

*لقد اهتز العالم ببركة ثورة هذا الرجل، وهز هذا الرجل إيران أيضاً، ونحن نعتبر أن للشعب الدور الأول، وكان للشعب الإيراني الدور الأول في الثورة، ولكن من الذي جعل الشعب يصبح هكذا؟ فهذا الشعب نفس ذاك الشعب الذي كان يسكن إيران في السابق فمن الذي فجر فيه كل هذه العيون الفوارة وكل تلك الطاقات الفعالة؟

إنه روح الله، ذلك الإنسان العملاق، وإنني أعتقد أن ذلك يعود إلى ارتباطه بالله وتهذيبه نفسه.

لقد بدّل الإمام الخميني شعبنا الرازح تحت نير الجور، وبلدنا المظلوم إلى شعب ثوري، ومتطّور في هذا العالم.

عاشراً: إثبات أن مبدأ (لا شرقية ولا غربية) مبدأ عملي وممكن التطبيق.

* كان يظن الآخرون ـ من غير الإمام ـ أنه ينبغي الاعتماد إما على الشرق أو الغرب، وأنه يجب أن نعتاش أما على خبز هؤلاء ونمدحهم، وأما على خبز

أولئك ونثني عليهم، لم يكونوا يتصورون أن بإمكان شعب أن يقول للشرق والغرب معاً (لا) ويقاوم ويثبت بوجههما ويرسخ أقدامه يوماً بعد آخر، بيد أن الإمام برهن على إمكانية حصول ذلك.

* إنني أعتقد أن الجمهورية الإسلامية العظيمة والقوية والعزيزة هي أعز تركة وإرث تركه ذلك الشخص العظيم لقومه وشعبه، وهي تأتي بالدرجة الثانية بعد ميراث الإسلام الذي أبقاه الرسول الأكرم ﷺ لأمته وقومه.

* في هذا اليوم نجد ـ ولله الحمد ـ أن على رأس القوة التنفيذية في هذا البلد رئيساً كان أساس أمل الإمام، وموضع ثقته في جميع الأمور السياسية والعسكرية في البلاد، ونرى أن هذا امتياز كبير حظي بنيله شعبنا في الوقت الراهن.

* طبعاً فإن النهضة العظيمة التي قام بها الشعب وعلماء الدين بقيادة إمامنا العظيم الفذ، قد طرحت شعارات منعت من امتزاج الحق والباطل والتباسهما، وحينما عرف الناس الحق تدريجياً طوال ١٥ عاماً وعزلوه عن الباطل فقد حسمت القضية، ولم يسمح الإمام(رضوان الله تعالى عليه وأعلى الله كلمته ومقامه) عبر أنفاسه العيسوية، بأن يلتبس الحق والباطل بعد انتصار الثورة.

*كل هذه الانتصارات تحققت ببركة التمسك بالإسلام وصيانة الاستقلال والاستغناء عن الأجانب والتوكل على الله ومساعي الشعب وجهوده الموحدة خلف قيادة القائد الأوحد الذي لا بديل له.

* من بين أيام الله التي تحتفي هذه الثورة باعتبارها ذكريات بارزة من ذكريات عهد النضال الذي استغرق ما يربو على العشرين عاماً والذي خاضه شعبنا الشجاع والمنتصر، وينطوي كل واحد منها على إحدى ذكريات إمامنا الراحل العظيم وقبس من نوره، يبرز يوم الرابع من تشرين الأول عام ١٩٧٩. ذكرى احتلال وكر التجسس الأميركي في طهران من قبل الطلبة الجامعيين بروزاً خاصاً، فهو ذو خصائص أكثر تنوعاً ومضامين أكثر عمقاً وأهمية.

ففي هذا اليوم اصطفت جبهتاً النضال الدامي: جبهة الظالمين وجبهة المظلومين، جبهة الاستكبار والتسلط وعلى رأسها أميركا وجبهة الحق والعدل وحامل مشعلها وإمامها الخميني الكبير.. كان هذا الاصطفاف يشاهد بوضوح في هذا اليوم .. يوم الله.

* لقد كان احتلال وكر التجسس والتآمر الأميركي الذي تم باستلهام من البيان الذي وجهه الإمام إلى الطلبة الجامعيين وتلاميذ المدارس حول اتساع موجة الاعتراض والسخط، على الرغم من كونه رد فعل معاكس في قبال هجمات جبهة الاستكبار التي شنتها ضد الثورة، لكنه في الوقت ذاته كان جهاداً ابتدائياً ضد الاستكبار وعلامة على وصول الدور لجولة الحق وصولته وتحطم المعادلات الاستعمارية وتدمير صورة أمريكا وإبطال مفعول التلقين الذي استمر عشرات السنين لتخويف الشعوب وإرعابها.

* إنّ كل ذوي الرؤية النافذة قد أدرجوا ـ منذ البدء ـ انه بانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية والروابط العالمية، وهذا

العصر يجب أن نطلق عليه (عصر الإمام الخميني) وسمته أن يعبّر عن يقظة الشعوب وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلط للقوى العظمى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي نبتة القدرة الواقعية لبني الإنسان وظهور القيم المعنوية والإلهية.

قيادة سماحة الإمام قدس سره

* كنا نحاساً فجعل منّا ذهبا ـ إنه الكيمياء ذاتها، وانه الإكسير بعينه.

* إنّ الإبداع الذي أبداه إمامنا العزيز هو أنه رفع الجدران التي كانت تفصل بين تجمعات الناس وتضعهم في حفر وخانات صغيرة هنا وهناك، وصنع ميداناً واسعاً يحتشد فيه الناس طراً بعد أن أزال تلك الجدران. إنه جمع القلوب بعضها إلى بعض وأوجد هذه القوة العظيمة.

* إنّ إحدى بركات هذه النهضة وإحدى خصائص قائدها الاستثنائي المنقطع النظير هي أنه كان يحسب للحظات حسابها ويتحسس كل صغيرة وكبير منا، وكانت لديه قدرة على الإحساس تمكنه من الشعور بأصغر ذرة يلمسها، على العكس من تلك الأنامل التي أصابها الخدر وانعدم فيها الإحساس فلم تعد تحس بشيء من الأشياء، وكنا قد ابتلينا بهذه الحالة فعالجها الإمام وجعل لدينا ولدى شعبنا قدرة كبيرة على الإحساس لكي نعي وندرك ماذا يجري في دهرنا هذا.

* كانت ثمة مؤامرة في الأيام الأولى التي تلت انتصار الثورة يدبرها الأعداء، حيث حاول الخونة تعطيل الأعمال وشل عجلة الإنتاج في داخل البلاد

والحيلولة دون تحرك مسيرة الإبداع والتطوير العلمي والعملي. ولحسن الحظ فقد تم إحباط تلك المؤامرة الخبيثة بالنداءات والتحذيرات المتكررة التي وجهها سماحة الإمام قدس سره والتي حركت وعي الناس وأيقظتهم.

* لم يكن الإمام يفكر تفكيراً إقليمياً ضيقاً، ولم يكن تفكيره ينحصر داخل إطار حدود البلاد. بل كان اهتمامه منصباً على قضايا الإسلام والأمة الإسلامية أينما كانت تعيش في أي بقعة من بقاع العالم، ونحن نفكر بنفس ذلك الأسلوب.

* وكنا نراجعه في الظروف العصيبة والمواقف الصعبة فكنا نجده كالبحر الهادئ الساكن غير المتلاطم الأمواج، ونستمد من النظر إليه الهدوء والسكينة.

* إنّ الهدف من إعمال النضال والكفاح التي قام بها الشعب الإيراني بقيادة الإمام الفذ حتى انتصرت الثورة، والهدف نفسه من كل ما أعقب الانتصار من جهود ومساع ونضال جاد شهده البلد، هو إيجاد الحياة الإسلامية الطيبة.

* هذا هو حال الرجال العظام والأشخاص فكل ما لديهم مسخر في خدمة الثورة ولتحقيق أهدافها، وهكذا كان سماحة الإمام، فحركته وسكونه وكلامه ومجيئه إلى إيران، ونضاله السابق، ونضاله المستمر طيلة السنوات العشر الماضية، وكل خصائصه كانت في خدمة الثورة، وإن فقدانه كان خسارة لا يمكن أن تقاس بأية خسارة أخرى، وكأن الأفضال الإلهية تقوم بتوجيه الشعب ودفعه للسير مع اتجاه مسيرة الثورة، وحقاً أي بركة هذه؟!

فالسلام على حياته والسلام على وفاته.

أجل، أن كل خصائصه كانت مصدراً للسلام ومصدراً للبركات الإلهية وهذه حقيقة واقعية قائمة، فإن لم نستطع الاستفادة من هذه الحقيقة نكون قد أثبتنا ضعفنا وعلينا أن نهيئ الجواب المناسب حينما نُسأل عنه.

* في أوائل سني النهضة، كانت تقع حوادث ووقائع كبرى مثل حادثة مهاجمة جلاوزة الشاه للمدرسة الفيضية أو واقعة ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) وكانت ذات وقع كبير وآثار جمة وضغوط شديدة بالنسبة لباقي الناس، بيد أن إمامنا العزيز قائدنا الكبير الفقيد كان يعتبرها خطوة كبرى وأداة فعالة ووسيلة مؤثرة في تحقيق أهدافه الثورية وأهداف الشعب ويستثمرها في دفع الناس إلى الأمام.

* إنّ كل لحظة من حياته كانت ملأ بالبركات والثمار والحوادث.

* كان روح الله ذاك الذي عقد العزم على إنقاذ المظلومين بالعصا واليد البيضاء الموسوية، وبالبيان والفرقان المصطفوي، فزلزل عروش فراعنة الزمان وأضاء قلوب المستضعفين بنور الأمل، ومنح الكرامة للناس، والعزة للمؤمنين والقوة والمنعة للمسلمين، ووهب العالم المادي الخالي من الروح المعنوية، وأشاع في العالم الإسلامي الحركة وفي المناضلين والمجاهدين في سبيل الله الشهامة والشهادة.

لقد حطّم الأصنام وأزال العقائد الملوثة بالشرك، وأفهم الجميع أن بلوغ الإنسان مرحلة الكمال يستلزم مثل حياة الإمام علي عليه السلام، والتسامي والاقتراب من حدود العصمة ليس مستحيلاً أو خرافياً.

إنه أفهم الشعوب أيضاً أن الحصول على القوة وتحطيم الأغلال وخوض الصراع مع المتسلطين والصراع معهم ممكن.

الإمام قدس سره والأمة

* إننا وخلال الإحدى عشرة سنة الماضية لم نواجه مشكلة عمالية بالمعنى الذي كان يريده لنا العدو، فعمال بلدنا ينظرون إلى القضية من الزاوية الإيمانية والإسلامية وليس من أي منظار آخر . ونظراً إلى إيمانهم وعشقهم الشديد والصادق بإمامهم، شأنهم شأن بقية الفئات والشرائح التي تعشق الإمام حقاً من أعماق قلوبها وتكن لذلك الرجل الملكوتي والإلهي حباً شديداً، فإنهم لم يريدوا أن يتكدر منهم صفو خاطر الإمام، ولذلك كان لديهم إيمان واقعي بالإسلام، وهذا ما أدى إلى حصول هذا التحرك.

* نقل شاب مسلم فلسطيني القول بأن السجناء الذين زُج بهم في سجون الأرض المحتلة كانوا ينشدون وهم في قعر الزنزانات شعراً يزخر بعشق الإمام والثناء عليه وعلى الثورة الإسلامية وجهاد الشعب الإيراني وكان العدو يخشى من هذه الأناشيد إلا أن ضغوطه لم تؤثر عليهم. وهذا الشعب الفلسطيني يناضل منذ عامين في الأرض المحتلة بأيد عزلاء وما زال العدو عاجزاً عن التصدي للإنتفاضة وقمع النضال.

* لقد كان لإمامنا العزيز نفوذ في قلوب آحاد الناس سواء في بلدنا أو أقطار العالم الأخرى، وكان هذا النفوذ عميقاً لدرجة أن إشارته وقوله وسلوكه تعد دروساً بليغة تتفتح لها قلوب أبناء شعبنا والشعوب الأخرى على مصراعيها.

* أيها الأخوة الأعزاء

حقاً لقد كانت السنوات العشر الماضية من تاريخنا فصلاً عجيباً غير قابل للتكرار، وقد مرت علينا وانقضت ولا ندري كيف مرت تلك السنوات. وإن هذه الفترة التي مرت علينا من عمر الثورة والتي بلغت عشر سنوات وبضعة أشهر كانت بطول الفترة التي استغرقتها إقامة رسول الله في المدينة المنورة، وكم تتشابه تلك المدتان!

فحينما هاجر النبي من مكة إلى المدينة، خرج أهالي يثرب، الذين كانوا قد أسلموا تواً، لاستقبال الرسول ﷺ ولبثوا ينتظرون حبيبهم مشرئبة أعناقهم وترنوا إلى دربه أعينهم، وهكذا كان شعبنا بالضبط عندما سمعوا خبر مجيء الإمام، فكان ذلك اليوم الذي جاء فيه من باريس يوماً تاريخياً، وبينما كانت تمر السيارة الحاملة لسماحته عبر شوارع طهران كان الناس يجتازون الموانع والعقبات بصعوبة ومشقة بالغة ويوصلون أنفسهم قرب السيارة ليتشرفوا برؤية طلعته البهية، طلعة زعيمهم العزيز.

*لم يكن حبكم للإمام هو الذي جعل نجمه لامعاً وصيته يذيع بل أن ـ الله تبارك وتعالى ـ هو الذي قام بذلك.

* لقد قام هذا النظام وبرز إلى الوجود بتضافر أبناء الشعب وتكاتفهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عشق الناس لمؤسس هذا النظام وواضع لبناته الأولى كلها أدلة على حقانية النظام، ولو كنا قد قلنا ذلك في عهد حياة سماحة

الإمام (رضوان الله عليه) لقال المرجفون: (هذا غير صحيح البتة، والناس لا يكنون الحب للإمام) لكن ارتحال ذلك الإنسان الفذ وما رافقه من وقائع وملاحم شعبية خالدة، دليل دامغ وشاهد بليغ على هذه الحقيقة.

لقد عاش الإمام بين ظهرانينا مدة عشر سنوات وبضعة أشهر بعد انتصار الثورة الإسلامية. وكان الناس يعربون في كل لحظة من لحظاتها عن عشقهم لذلك الرجل العظيم، وكانوا يعتبرون كل ما يقوله ديناً يدينون به وفريضة إلهية على كل واحد منهم.

فهذا النظام ـ إذاً ـ نظام حق والناس يريدونه لأنه منهم وإليهم ولم يك مفروضاً عليهم، ولأنه كان يسير بالناس إلى طريق الحق وجادة الهدى.

وهذا كله في الوقت الذي تعلمون أن هذه السنوات العشر كانت زاخرة بأكثر الحوادث مشقة على الناس وأشدها وقعاً في حياتهم، وقد فرضت علينا حرب استغرقت ثماني سنوات من بين هذه السنوات العشر.

وكم ضحّى الناس خلال هذه السنوات بالشهداء، وكم من الشباب صاروا في عداد المعوّقين، وكم من المعاناة والشدائد والضائقة الاقتصادية نتيجة للحرب والحصار تحمل الضعفاء، بيد أن الضعفاء وعلى الرغم من كل ذلك كانوا أشد عشاق الإمام والثورة حباً وتعلقاً، لأنهم يعلمون أن هذا هو السبيل السديد والصراط القويم، وأن كل هذه المشاق والضغوط إنما هي بسبب استقامة الطريق الذي يسلكونه.

لِمَ احتشد عشرة ملايين إنسان من المعزين حول جثمان الإمام الطاهر أيام وفاته وهم يضربون رؤوسهم ويلطمون صدورهم بشدة؟! أي سر يكمن في ذلك؟ ولماذا يغرق مئات الملايين من المسلمين في الحزن واللوعة والعزاء لوفاء إنسان واحد؟ ما هو مغزى ذلك؟ وما هو سبب محبوبية الإمام بهذا الشكل بين الناس؟ الجواب يكمن في كلمة واحدة هي الإسلام.

* فيما يخص الحوزات العلمية الدينية وطلابها وفضلائها ومدرسيها لم يحدث مرة أن تحدث سماحته عنهم أو جرى الحديث بحضرته حولهم إلا وشوهدت عليه علائم الاهتمام والمحبة الأبوية التي يكنها أب مشفق وواع تجاه أبنائه.

* إنّ أفضل صفة يمكن أن تتحلى بها أمة من الأمم هي مواصلة السير في طريق إمامها، مثلما أثبتم ذلك حتى اليوم مبرهنين أنكم ما زلتم تسيرون في طريق الإمام وعلى نهجه. فإذا أردنا أن يستمر نهج الإمام. وينبغي أن يستمر ذلك النهج، ولسوف يبقى نهجه خالداً بفضل الله وتوفيقه ـ فإن هناك واجبين أساسيين يتوجب القيام بهما من أجل ذلك، وعلينا أن نقوم بكلا الواجبين معاً ونهتم بهما.

أحدهما: المحافظة على صلابة الثورة وهيبتها، وينبغي أن نواصل السعي بشكل حثيث لتحقيق أهداف الثورة بنفس الوضوح والصرامة السابقين، ينبغي صيانة هيبة الثورة على الصعيد العالمي، والمحافظة على عز الثورة وشموخها،

وهذا الواجب يقع على عاتق كل فرد من أبناء الشعب وكل واحد من المسؤولين الكبار والصغار.

والثاني بناء أنفسنا بناءً ذاتياً ومن الداخل، ونحن إذا لم نستطع بناء بلدنا وشعبنا وأنفسنا بناءً ذاتياً فستخيب آمال الشعوب المسلمة المعقودة علينا.

* إذا انفصل هذا النظام عن (نهج) إمامه العزيز فحاله حال شجرة ﴿اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. والشجرة المقطوعة من جذورها من الممكن أن تبقى حسنة الظاهر بضعة أيام وتحافظ على هيكلها بعض الشيء لكن مصيرها معروف، إذا لم يعد لها ارتباط بمصدر الحياة والغذاء بعد ذلك.

علينا ألا ندع ثورتنا تنفصل عن جذورها وهي هنا (نهج إمامنا).

* القائد والأمة هما العنصران المهمان جداً في ثورتنا.

* لو لم يكن هذا الشعب قوياً لاهتز بشدة بعد وفاة الإمام المفجعة الفادحة، التي كانت واقعة عظمى، لو لم تكونوا أقوياء لتوقفتم في وسط الطريق وعجزتم عن مواصلة السير فيه.

لقد رأيتم أن أقدامكم لم ترتعش من الخوف، وهذا دليل على حياة شعبنا وقوته، فعلى الرغم من أن العالم كله كان يظن أن هذا الخطب الفادح سوف ينزل الضعف بكم ويترك الخور والهوان في صفوفكم إلا أن الشعب استثمر هذه الحادثة الأليمة لتعزيز العزيمة وتقوية الشكيمة.

إنّ الشعب الذي يخال الجميع أن قضية ما ستكون وسيلة لإضعافه بيد أنه يبادر إلى استخدام نفس تلك الوسيلة للحصول على الاقتدار والمنعة هو شعب حي وهذا دليل على حياته.

وبعد رحيل الإمام، كان رأي العالم فيكم وانطباعه عنكم يزخر بالثناء والإطراء، إذ عرفوا أن هذا الشعب شعب قوي.

* إنّ الصلابة الإسلامية وثبات الشعب الإيراني المسلم والصرخات المدوية لمحطم أصنام القرن، والفضل الإلهي والنصر الرباني الذي شمل ذلك العبد الصالح وصحبه على الدوام، كلها أدت إلى تصدير الأفكار الثورية الإسلامية التي يخشاها العدو بشدة، عبر نفس الطرق والأساليب التي سلكها الأعداء للحيلولة دون تصدير الثورة أو توجيه الضربات إليها وإلحاق الأذى بها.

* لقد التحق الإمام العزيز بالرفيق الأعلى و" لقاء الله" وهو راض عنكم دون شك أو ريب، وننني متأكد من أنه يبدي رضاه عند الحضرة الإلهية عن أمته التي لبّت نداءه مراراً، ويدعو لها هناك.

كان الإمام يعرف هذا الشعب معرفة حقة ـ وهذا مما صرح به هو نفسه ـ وكان يبدي حساسية شديدة بخصوص أمور الشعب، وكانت القضية الأساسية لديه هي الاهتمام بالشعب أثر من أي شيء آخر.

* لقد حاول أعداء الإسلام دق إسفين الفرق بين صفوف شعبنا، وأن يفصموا عرى العلاقة بينه لكنهم خابوا وفشلوا. لقد بذل الأعداء أموالاً طائلة واستخدموا

إعلاماً واسعاً وتوسلوا بسياسات مختلفة من أجل تغير آمال واستبدال تطلعاته إلى تحقيق أهدافه وبلوغ غاياته. لكن مساعيهم باءت بالخيبة والفشل وظل الشعب ملتزماً بالسير خلف الإمام والمسؤولين المخلصين المتحرقين خلال هذه السنوات العشر الماضية، وحقق النجاح والفلاح، وها هو اليوم ـ ولله الحمد ـ يتمتع بأقصى درجات الحيوية والسعادة ويتحلى بالاستقامة والاقتدار والصرامة وهو يسير خلف مسؤوليه.

* لقد أدّيت أيها الشعب امتحانك جيداً وخرجت منه مرفوع الرأس خلال أيام حياة الإمام، وتمكنتم من مواصلة السير خلف الإمام وعلى آثار خطاه، والتقدم إلى الأمام، وقد فرض الأعداء عليكم ـ أيها الشعب الإيراني ـ المحن والصعاب وكان قصدهم أن يتعبوكم لكنكم لم تتعبوا.

وكانت سياسة أمريكا وحلفائها الدائمة تسير في هذا الاتجاه منذ انتصار الثورة، وما زالت هذه هي أهداف تلك السياسة، لكنكم لم تتعبوا من الحصار الاقتصادي، ولم تتعبكم الحرب المفروضة، ولم يتسرب إليكم الكلل والملل من أراجيف الاستكبار العالمي وسبابه، وقد أثبتّم أنكم أُناس واعون ومؤمنون صادقون، وأنكم شعب لائق.

* حقاً وإنصافاً أنكم ـ أيها الناس الأوفياء المؤمنون المضحون ـ لم تقصروا أبداً في طاعة هذا الإمام العظيم الفذ.

* ينبغي القول بحق أن إماماً كهذا يليق بأمة كهذه.

* لقد حافظ شعبنا ـ ولله الحمد ـ على وحدة كلمته في مسيرته خلف الإمام الفذ الراحل طيلة ما بعد انتصار الثورة وفي جميع الحوادث المهمة، ولم تحدث نزاعات فئوية بين أبنائه، وما زال محافظاً على هذا الوضع حتى الآن.

سماحة الإمام قدس سره وأعداء الإسلام

* لقد كانت للإمام شخصية لامعة حتى في أعين أعدائه الذين استخدموا الإعلام والدعاية السامة للإساءة إلى بهاء طلعة هذا الشخص النيرة ـ الذي هو من أولياء الله ـ والذين حاولوا عبر إعلامهم الخبيث أن يخمدوا شعلة الأمل الذي كان يملأ قلوب المسلمين والمستضعفين في العالم. لكنهم غيروا لهجتهم الآن جميعاً، وصاروا يصفون الإمام بأوصاف مشفوعة بالاعتراف بعظمته.

* إنّ تلك الزمر والشراذم التي ناوأت الإمام سوّدت وجهها بأيديها، وإن الذين استهدفوا إدخال الفرح والبهجة على الصهاينة وأمريكا وملؤوا جيوبهم بأموال نفط الأنظمة الرجعية، وتجاهلوا الحقيقة وصاروا أعداءً ألدّاء للإمام، قد خابوا ووصلت أمورهم إلى الحضيض.

وهكذا كان المصير الأسود بانتظار أولئك الذين كان يمكنهم أن ينعموا بالعيش تحت ظل الإمام وينتفعوا هم أنفسهم بذلك. لكنهم داسوا على حظهم بأقدامهم ورفضوا طير السعادة المقبل عليهم، والتجأوا إلى أحضان أعدائه مثل تلك الشراذم من المشردين الذين يقطنون حالياً في أوروبا وأميركا اللاتينية وفي العراق وبعض الدول الأخرى.

وهكذا كانت عاقبة أولئك القلة الذين كانوا داخل البلاد كالقطرة في عباب المحيط، لكنهم لم يقفوا حتى على هذه الحقيقة، حقيقة كونهم تافهين جداً في مقابل هذا السيل العارم ـ من الناس.

* الآن وقد آلت شمسه المضيئة إلى الغروب ولم يعد موجوداً في هذا العالم المظلم، انطلقت ألسنة الذين كانوا حتى الأمس القريب ينظرون له بعين الإنكار والعناد، فبدأت بمدحه وذكر مناقبه وفضائله.

* هناك ثلاث ذكريات اجتمعن في يوم الثالث عشر من آبان (١٩٧٩/١٠/٤) وكلها ذات علاقة بأميركا، اثنتان منها تخصان الضربة التي وجهتها لنا أميركا، وواحدة تتعلق بالصفعة الموجعة التي سددها شعبنا إلى وجه أميركا.

وأولى الذكريات تلك، هي ذكرى نفي الإمام قدس سره، إذ أنها كانت تخص قانون منح الحصانة القضائية للمواطنين المستشارين الأمريكان في إيران (الكابيتالسيون) الذي كان يعني إعطاء السيطرة القضائية للحكومة الأمريكية في ظل الحكومة العميلة لأمريكا في إيران، وهذا ما سأتحدث عنه فيما بعد، بل أن معنى الاستكبار ولوازم الاستكبار هي أمثال هذه الأمور، وأن خصائص المستكبرين هي هذه.

لقد اتخذ الإمام موقفاً صلباً في قبال هذه الحادثة، وانتشرت أقوال الإمام بشأنها في كل أنحاء البلاد وأحس النظام العميل لأمريكا بالخطر، ومن خلال ذلك التشخيص الخاطئ الذي عادة ما يحصل عليه أصحاب الشياطين ـ الذين

يعتقدون أولاً أن الضغط سيؤدي إلى إضعاف المقاومة غافلين عن أن الضغوط تزيد من استقامة المؤمنين وثباتهم، وثانياً أنهم يعتقدون أنه ينبغي التخلص من الأشخاص للتخلص من التيار ككل. وبناءً على ذلك التشخيص فقد قام بنفي الإمام، واستمر نفي الإمام حتى عاد إلى إيران في الأول من شباط.

* في ليلة مثل هذا اليوم (٤ تشرين الأول ـ أكتوبر) امتدت يد الاستكبار القاسية القذرة إلى إمام جبهة الحق والعدل فاختطفته سراً من بيته المتواضع الذي تحدّى منه كل نزلاء القصور المغرورين وكحّل عيون المستضعفين بنور طلعة الحق في غياهب الليل البهيم، ونفّسوا عن حقدهم الأسود وحنقهم الشديد منه لإبطاله مفعول مؤامرة الكابيتالسيون، وكان عملهم يتسم بالغباء والحمق.

* لا شك في أن أمريكا لو كانت تستطيع أن تفني نظام الجمهورية الإسلامية خلال الإحدى عشرة سنة الماضية لفعلت، ولكنها لم تتمكن من ذلك، وهذا هو معنى مقولة الإمام(أن أمريكا لا تستطيع أن تفعل أية حماقة) هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الغرق في الخوف من أمريكا واقتدارها وامكاناتها كان يعد أمراً مغلوطاً للغاية.

من الذكريات السياسية

لقد أوصاني إمام الأمة قبل أن أتوجه لزيارة باكستان بأن أقول لعلمائها: إنّ هذه الضغوط التي نتعرض لها من قبل أمريكا والغرب والشرق والرجعية وغيرهم ليست لأننا إيرانيون بل بسبب كوننا نلتزم الإسلام، وفي اليوم الذي

يشعر العالم فيه أننا لسنا جادين في التزام الإسلام ـ والعياذ بالله ـ وفي اليوم الذي يشعر فيه العالم المستكبر إننا مستعدون للمساومة على الإسلام ولا نهتم بذلك كثيراً فستنتهي هذه الضغوط.

* لقد سألت إمامنا العزيز(أعلى الله كلمته) مراراً: متى بدأت تفكر بإقامة الحكومة الإسلامية؟ إذ أن الدروس التي ألقاها سماحته عن ولاية الفقيه في النجف الأشرف كانت في عام ١٩٦٣م ووصلت الأشرطة المسجلة منها إلى إيران عام ١٩٦٩، فكنت أريد أن أعلم متى بدأ سماحته يفكر بذلك. فقال سماحته لا أدري بالضبط ما هو التاريخ الذي بدأت أكفر فيه بقضية الحكومة الإسلامية، لكننا كنا منذ البداية نفكر ما هو تكليفنا الشرعي، فكان النضال ضد حكم الشاه هو ذلك التكليف، وأن الاعتراض على عمله الفلاني هو التكليف، وإن المقاومة في وجه عمله الفلاني وفضح التسلط الصهيوني والإسرائيلي على إيران هو التكليف. وكان الله هو الذي أوجد هذا الوضع. إقامة الحكومة الإسلامية ـ وهذه هي حقيقة هذه القضية، وطبعاً كان هناك جهاد وإخلاص وعمل صالح، ولكن ذلك كله كان مقدمة لنتيجة حتمية هي النصرة الإلهية.

* لقد قال إمامنا الفذ قدس سره في إحدى المناسبات: عندما يمدحنا العدو فعلى الإنسان أن يشك في نفسه، أما عندما يوجه إليه السباب والأذى فعليه أن يطمئن إلى كونه يسلك الطريق القويم.

* إنّ حرس الثورة الإسلامية في إيران هو الركن القوي والقاعدة المتينة للدفاع عن الثورة في البلاد، فهو أحد العضدين المسلحين للجمهورية الإسلامية في إيران.

وقد رفع الإمام لي ساعديه وقال لي: أن أحد الساعدين هو الجيش والآخر هو الحرس، والعمود الفقري للحرس هو الشعور الثوري وإيمان هؤلاء الشبان الغيارى والمؤمنين، ويجب صياغة هذا الإيمان وتعزيزه بالوعي والعمق الفكري من النواحي العقائدية والسياسية، وهذه الوظيفة التي تؤديها دائرة التوجيه العقائدي والسياسي وظيفة مهمة جداً وينبغي أن يتعاون الأخوة في الحرس معهم لأداء هذه الوظيفة جيداً وسيعود خير هذا العمل على الثورة والبلاد أن شاء الله.

* الحقيقة أن للسيد أحمد حقاً كبيراً على كل الناس، وفي الحقيقة أنه كان الذي يعتني بالإمام ويحافظ عليه، وكان قد هيأ الوسائل الضرورية لمواجهة هذه المواقف الخطيرة.

*إنني لا أنسى ذلك اليوم الذي كان الإمام يرقد في المستشفى (عام ١٩٨٧) وكان ذلك الوقت فصل الربيع حيث أصيب الإمام بأزمة قلبية نقل على أثرها إلى المستشفى وبقي مريضاً حوالي عشرة أيام فذهبت لعيادة حضرته وحينما اقتربت من سريره حدث لي انقلاب شديد ولم استطع السيطرة على نفسي فانفجرت باكياً، وسيطر عليّ الحزن، لكنه تلطف ونظر إليّ بعين المحبة نظرة رحيمة وكانت أهم الكلمات التي خطرت في باله وأراد أن يقولها في تلك اللحظات الحساسة لا تتجاوز جملتين أو ثلاثة، وقد قمت بتدوينها، حيث تفضّل قائلاً: (كونوا أقوياء) وربما هذه الجملة أيضاً (اعتمدوا على الله، وكونوا أشداء على الكفار رحماء بينكم).

وحسب اعتقادي فإن وصية الإمام التي تربو على الثلاثين صفحة يمكن تلخيصها بهذه العبارة: كونوا أقوياء، ولا تشعروا بالضعف، واعتمدوا على الله، وكونوا أشداء على الكفار رحماء بينكم، وإذا كنتم معاً لا يستطيع أحد أن يصيبكم بأذى.

* كان البعد المعنوي عند الناس يهيج عواطف الإمام، بل إنني شاهدته وهو يبكي لذلك عدة مرات. وفي كل مرة كان يستعبر عندما كنا نتحدث بحضرته عن هيجان الناس وتضحياتهم وهذا طبعاً ما شاهدته شخصياً، ولا بد أن الآخرون شاهدوه أيضاً.

وعلى سبيل المثال. في إحدى المرات ذهبت إليه في اليوم الذي كان فيه الأطفال قد جاءوا بمدّخراتهم إلى صلاة الجمعة وهي موضوعة في محفظات صغيرة، وبدأوا يكسرونها ويُخرجون النقود منها فصنعوا منها تلاً، وكان الإمام آنذاك في المستشفى ورأى ذلك على شاشة التلفزيون، وحين ذهبت إليه في غرفة المستشفى جرى الحديث عن الناس وإخلاصهم، فقال: هل رأيت ماذا صنع الأطفال؟ واغرورقت عيناه بالدموع، وبدأ يبكي.

* كنت مرة في زيارة لإحدى المناطق، وبعد أن أكملت خطابي توجهت إلى السيارة التي تقلني وكنت أهم بركوبها بينما كان الحراس يحيطون بي وبالسيارة ليحولوا دون قدوم الناس، فرأيت امرأة تخاطبني من وراء الحراس بكلام لا أفهمه، فقلت لهم أفسحوا لها المجال لأسمع قولها.

وحينما تقدمت إليّ قالت: قل للإمام نقلاً عني أن ولدي قد أسره الأعداء وعرفت أنهم قتلوه فيما بعد، فقل للإمام أنه فداء لك، المهم أنك حي ترزق، وأن تسلم لنا، وإنني مستعدة أن أضحي بباقي أبنائي كلهم في هذا الطريق.

وحينما جئت إلى طهران، زرت سماحة الإمام، وبعد خروجي من عنده نسيت أن أعرض عليه كلام تلك المرأة، ولكنني بمجرد أن غادرت الغرفة تذكرت ذلك، فقلت لنفسي، ليس لائقاً أن لا أوصل رسالة أم الشهيد إلى الإمام.

فقلت للأخوة المسؤولين في بيت الإمام: لقد نسيت أن أقول شيئاً للإمام وأحب أن أعود لأقوله لسماحته، وكان الإمام يهمّ بمغادرة تلك الغرفة الصغيرة وكان واقفاً لدى الباب المؤدي إلى الساحة فعدت إليه وقلت له: أود أن أقول لكم هذه الكلمات التي كلّفتني أن أوصلها إليكم إحدى السيدات وهي أم لشهيد..

ومع أن سمع كلام تلك الأم حتى تغيّرت ملامح وجهه الشريف واغرورقت عيناه بالدموع بشكل اعتصر له قلبي.

أجل، لقد كان الإمام يتأثر بشدة ويتفاعل مع إخلاص أبطالنا في الجبهات وتهيج عواطفه لتضحيات عوائل الشهداء ومعنويات الناس وإخلاصهم.

٣ـ المصيبة العظمى في فراق الإمام قدس سره

* إننا محرومون اليوم ـ مع الأسف ـ من فيض وجوده، فقد كان نعمة كبرى للغاية، فواحسرتاه وواأسفاه وألف آه على خسارتنا إياه. والأكثر من ذلك أثاره للأسف أنه غادرنا في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى قيادته وتوجيهاته والى الشخصية التي أحياها في كيان الناس المظلومين والمستضعفين والشعوب المستذلة الممتهنة الكرامة.

* لم يكن يخطر في بالي أن يأتي اليوم الذي لا يكون فيه الإمام بيننا ونبقى نحن نتحدث معكم كمسؤولين وزملاء وعلى أي حال فقد كان فقدانه مصيبة عظمى حلّت بالعالم الإسلامي وأحدثت فراغاً كبيراً وعجيباً.

* كانت هذه الحادثة تشبه ـ في نظر الأمة الإسلامية ـ حادثة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهادة أمير المؤمنين عليه السلام. وحقاً إن الأمة الإسلامية في كل مكان أحسّت باليتم بفقدانه.

* لربما لا يمكن أن يملأ هذا الفراغ الذي حصل في قلوبنا وأرواحنا وفي حياتنا وحياة العالم الإسلامي كله لسنين طوال.

* حينما توفي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ضجت المدينة دفعة واحدة بالبكاء والعزاء، ووصلت عواطف الناس المرهفة إلى حد صار فيه ذلك اليوم فريداً في التاريخ، لكننا حينما رأينا هياج عواطف الشعب الإيراني العظيم حينما تلقوا خبر وفاة الإمام، فإننا جددنا إيماننا بهذه الحقيقة، وهي أن مسلمي زماننا

وشعبنا المخلص متقدمون على من كانوا في عهد نبي الإسلام الكريم ﷺ وعصر صدر الإسلام، من حيث عمق الإيمان والعواطف الملتهبة على مستوى عامة الناس.

* حقاً أن الحادثة المرة والخسارة الكبرى بفقدان قائدنا الكبير وإمامنا الفذ لاشك أنها من أمرّ الحوادث وأفدح المصائب التي وقعت للشعب الإيراني طيلة تاريخ ثورتنا، بل أنها من الأحداث التي يندر مثيلها، والتي أثرت على مسلمي العالم طراً.

* لقد كنت أحدث نفسي خلال السنوات الأخيرة مراراً أن دنيا تخلو من وجود الإمام هي في اعتقادي دنيا مظلمة ولا روح فيها، ولم أتحمل مجرد تصورها وكنت أستعيذ بالله من حلول هذا اليوم.

* قبل الآن، كنا نلجأ إليه في كل مصيبة تحل بنا، وكان يفهمنا ببيانه الرائع ثقل تلك المصيبة وعمقها، وكان يواسينا بها: كاستشهاد الأستاذ المطهري، ووفاة المرحوم الطالقاني، وشهادة شهداء المحراب، وفاجعة انفجار مقر الحزب الجمهوري الإسلامي، وفاجعة استشهاد الشهيدين رجائي وباهنر، وقبلها جميعاً في مذبحتي ١٥ خرداد(٥ حزيران ١٩٦٣) و١٧ شهريور (٨ أيلول ١٩٧٨) وباقي المصائب.

أما اليوم، فأين ذلك الميزان العظيم كي يقيس لنا مقدار ثقل هذه المصيبة؟ وأين هو ذلك الذي له قلب بسعة البحر العظيم، الذي يحتضن الأمواج الغاضبة

والهائجة لتلقي عند شاطئه الساكن والمستقر؟ لم يبق لنا إلا أن نلجأ إلى الإمام الحجة بقية الله (أرواحنا فداه) ونقدم له التعازي ونرتجي عنده المواساة.

* على الرغم من أن يوسف أمتنا العزيز لم يعد بيننا الآن وكان وجوده يتجلى في وجود كل واحد من الحجاج الإيرانيين العاشقين لله، ولكنه مفقود هذا اليوم. بيد أنه يمكن العثور عليه في كل قلب ذاكر وعارف وفي كل نفس تواقة والهة، وفي كل لسان ناطق بالحق وفي وجود كل مسلم غيور ومتحرق وفي كل مكان يجري فيه حديث عن عزة الإسلام ووحدة المسلمين والبراءة من المشركين والنفور من أنداد الله وأصنام الجاهلية.

إنه حي ما دام الإسلام المحمدي حياً، وأنه حي ما دام لواء عظمة الإسلام ووحدة المسلمين والنفور من الظالمين عالياً خفاقاً.

* كان هذا الإنسان الفذ قدوة في الإيمان والإخلاص والعمل، هذا الإنسان الذي هزّ العالم اليوم بوفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى مثلما يهتز العالم ـ عادة ـ لفقدان الأنبياء والأولياء. ولا شك في أن هذا الإنسان الجليل الفذ من أولياء الله، وقد هز العالم بارتحاله، وكان قدوة لنا في إيمانه بالله وبنهجه وأهدافه.

* كان إنساناً بلغ قمة الهيبة وهو في غاية التواضع، ولما غربت شمس وجوده الآن، لم يستطع حتى أعداؤه كتمان عظمته.

* لقد شاهد أصحاب البصيرة لمعات قرب الحق في طلعته النيرة، وذاق الجميع طعم البر الإلهي الذي ينهمر في حياته ومماته، وقد استجيب دعاؤه الذي كان يقول فيه:

(إلهي لم يزل برُّك علي أيام حياتي فلا تقطع برك علي في مماتي).

فأحدث برحيله ثورة أخرى ... اجتمع حول نعشه عشرة ملايين قلب محترق وفجع مئات الملايين من المسلمين في كل أنحاء العالم وأغرقهم في بحر حزنه وعزائه.

* الحقيقة هي أن الفراغ الذي خلفه فقدان قائدنا الفذ لا يمكن ملـؤه مطلقـا. وإننا نحس مثل باقي مسلمي العالم إننا فقدنا مرادنا وقائدنا الكبير. لأن سماحته كان من زمرة الشخصيات التي تضم أولياء الله والأنبياء، وكانت قيادته ونصائحه الأبوية محسوسة في كل ذرة من ذرات كيان نظامنا.

* إننا نواجه خسارة عظمى خلفت فراغاً عجيباً فـي عالمنـا المعنـوي، فقـد فقدنا مركز ثقل عظيم كان فيما بيننا وصرنا محرومين منه اليوم.

* لقد كانت مصيبة فقدان الإمام بمستوى عظمة الإمام نفسه، وهل هناك غير الله وأوليائه من يعرف مدى هذه العظمة؟! هناك حيث القلـوب الكبـرى تفقـد تماسكها وحيث لا يتمالك العظماء أنفسهم، هناك حيث السوح ملأى بالملايين من أفراد البشر الذين لا يقر لهم قرار، فأي لغة أو قلـم يـستطيع أن يعبـر عـن عظمة هذه السوح؟!

وهل استطيع أنا أن أصف هذه العظمة وقد كنت قطرة قلقة يعوزها الصبر في ذلك المحيط المتلاطم في ذلك اليوم وتلك الأيام.

أما الوجه الآخر للمشهد وأعني بذلك أفق ملكوت العالم في ذلك اليوم، فقد كان ميسوراً لأهل البصيرة والمعرفة فقط... نعم ربما شهدت الأحداق النافذة والتي تخرق رؤاها كل حجب الملك، وتحلق طيور رؤيتها إلى آفاق الملكوت، شهدت عجائب أكثر ومشاهد أروع من ذلك اليوم، يوم عاشوراء الخميني.

إنه يوم عروج نفس مطمئنة إلى حيث يكمن اللطف والرحمة الإلهية، ويوم صعود العمل الصالح الذي تحول إلى رداء من نور يلبسه الجسد الملكوتي لتلك الروح المجردة وقد استحال إلى وابل من غفران وفضل رباني يمطر وجود ذلك العبد الصالح إلى دار سلام أبدي تضم بين حناياها ذلك التائق إلى الرضوان الإلهي.

وأسفاً أن ذلك المحفل الملكوتي لم تكن بارقة من أنواره تصلنا نحن أهل الأرض فتواسينا وتعزينا، ولم يكن من نصيبنا إلا الدموع المنهمرة من أعيننا على نيران هجران ذلك الإنسان الذي كان قبلة للقلوب.

لقد كانت لوعة مصيبة فقدان ذلك الأب الرؤوف والمعلم الشفيق والمرشد الحكيم والراصد المستيقظ دوماً والطبيب الحاذق في معرفة الآلام وعلاجها، وملاك رحمة الله على الأمة، وتذكار الأنبياء والأولياء في الأرض، وحرقة فقدانه تكويان أهل الأرض وتفرقهم في بحر من الغم الذي لا تنفع معه أي مواساة.

لقد فقد الدهر الإنسان الأوحد فيه وابتلعت الأرض درة يتيمة لا مثيل لها ولا بديل.

لقد فارق الدنيا حامل لواء الإسلام العملاق بعد عمر مبارك قضاه في السعي الدؤوب من أجل رفعة الإسلام، وجلس للعزاء قطب عالم الامكان وولي الله الأعظم أرواحنا له الفداء في مصيبة خليفته.

* أربعون يوماً مرة والأمة الإسلامية في كل أنحاء العالم تتلو نشيد الحزن واللوعة، وتئن لهذه الخسارة العظمى.

والشعب الإيراني الذي صار كالشخص المعزى الثاكل الذي على الرغم من أن المصيبة قد أثرت في أعماق أعماقه حتى دكت عظامه، لكنه لم ينس واجباته الكبرى. ففي هذه الأربعين يوماً تحرق هذا الشعب والتاع وبكى وأنّ. لكنه بقي شامخاً مفعماً وجهه بالأمل وبرهن على قوة ساعديه شدة بأسهما وعلى امتلاكه الإرادة الفولاذية وأجبر العدو والصديق على أن يلهجا بمدحه وإجلاله.

* أن المستقبل من نصيب الذين ساروا خلف قيادة الإمام، والفخر والمستقبل من نصيب أبناء هذا الشعب العظيم فرداً فرداً.

* أما متطوعو القوات الشعبية فهم بحاجة إلى الوعي المضاعف أينما كانوا، في المدينة أو في القرية والعشائر.. في الجامعة أو الحوزات العلمية أو المدارس الإعدادية.. في السوق التجارية أو الدوائر الحكومية أو المعامل والمصانع.

فالعدو لا يحاول التسلل عبر طريق واحد، وإنما يحاول أن يسلك شتى السبل من أجل ضرب الثورة والإسلام، ولذلك فعليكم أن تفتحوا أعينكم جيداً وتنتبهوا جداً لكي تعرفوا العدو جيداً.

لقد شخّص الإمام الخطوط أمامنا بشكل دقيق، وأي شيء ترون العدو حساساً منه عليكم أن تركزوا عليه، واعلموا أن العدو يريد النفوذ من خلاله. وحينما ترون الأعداء الخبثاء يركزون إعلامهم ودعايتهم على التزام الشعب بالثورة وقوة العلاقة بينهما فاعلموا أنهم يخافون التزام الشعب وحضوره المركز في ميادين الثورة المختلفة.

* مثلما هزّ أثناء حياته العروش الفرعونية فانه بموته سلب الكرى والأحلام الباطلة من عيون الأعداء.

ومن الآن فصاعداً سيشهد العالم تفتح براعم الخميني الكبير يوماً بعد آخر وأن النبتة التي قام بغرسها والبذرة التي زرعها هي تلك الكلمة الطيبة التي: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

* الحقيقة أن قولنا أننا صرنا يتامى هو تعبير حقيقي إذ أن الشعب الإيراني كله صار يتيماً، بل وكل المسلمين الذين يعيشون في البلدان الأخرى والذين استطاع الإمام أن يهبهم الهوية من خلال عظمة شخصيته ويتحفهم بالأمل ويعرض أمامهم أفقاً مشرقاً لمستقبلهم، هم الآخرون أحسّوا باليتم.

خيبة الأعداء

* بعد رحيل الإمام الخميني قدس سره لم يستطع القطاع الواسع من أعداء الإسلام ـ والذي يقف في الصفوف الأولى من معاداة الجمهورية الإسلامية ـ لم يستطع أخفاء أمله وتوقعه أن تفقد الجمهورية الإسلامية، في غياب بانيها ومرشدها،

قدرتها الدفاعية والتنموية، وتشعر كطفل يتيم بالضعف والضياع، فتنهار تماماً، أو تضطر للانضواء تحت هذا اللواء أو ذاك.

هؤلاء الأعداء ذوو النظرة الضيقة، والذين وقعوا كلهم ودون استثناء أسرى حسابات مادية مئة بالمئة، وفقدوا كل قدرة على فهم العلاقات المعنوية وبركات الإيمان والتقوى، لم يكن يدور في خلدهم ويحكم حساباتهم إدراك أن هذه المعجزة الإلهية في طليعة القرن الخامس عشر الهجري، أي حكومة الصلاح والدين والحياة الجديدة للقيم الإسلامية هي القمة الرفيعة التي لا تستطيع أن تنال منها أيدي عبدة الهوى والشهوة أو توقعها في حبائلها دبلوماسية القهر والبتر.

* لقد ظل الأعداء المجروحين من هذه الثورة ينتظرون بلهفة يوم فقدانه وينظرون إليه شزراً بعين الطمع والغدر، لكي يتطاولوا ـ في غياب ذلك الراصد اليقظ والحارس العتيد ـ على وليده الناشئ وميراثه وحصيلة مساعيه وهو الجمهورية الإسلامية في إيران والصحوة الإسلامية في العالم.

لكن اليقظة الثورية والإيمان الواعي والوفاء المصطبغ بلون العشق، والتي أبداها الشعب الإيراني العظيم في تشييع نعش الإمام الذي كان تشييعاً فريداً من نوعه، ومراسم العزاء التاريخية لذلك الإنسان الفذ والحوادث التي تلت ذلك اليوم والعلاقة الوثيقة والروابط العميقة التي أبداها مسلمو العالم في آسيا وأوروبا وأفريقيا وغيرها نحو الشعب الإيراني والإمام الفقيد. كلها قد أدخلت

اليأس في قلوب الأعداء وحولت تحليلاتهم وتوقعاتهم إلى خرافات وأوهام وأباطيل.

* إنّ العدو يملك حساسية شديدة تجاه تفاصيل ما يجري في بلدنا، وكما نعلم فإن الأعداء كانوا يعقدون الآمال على هذه الأيام التي تظهر فيها على الجمهورية الإسلامية آثار الفراغ الناشئ عن وفاة الإمام. كانت كل آمالهم تتمثل في بروز الخلافات الحادة بين المسؤولين، وأن تبدأ ما يسمونها (الحرب على السلطة). وكانوا يطمحون إلى أن تعم الفوضى والاضطراب السياسي في الجمهورية الإسلامية، لئلا يستطيع المسؤولين ـ حتى لو حُلت قضية القيادة وتم تحديد المسؤولين ـ أن يرتبوا أوضاع البلاد ويتمكنوا من تسيير شؤونها، ويستأنفوا العمل من جديد.

كانوا يأملون ألا يسجل الناس حضورهم في ساحة الأحداث، وكان المحللون الأجانب يعتبرون فقدان الإمام بمعنى انطفاء شعلة الثورة، وها أنتم ترون حيرتهم اليوم وتخبطهم، ودهشتهم لما آلت إليه الأمور والأوضاع الرائعة التي أخذت تتجه نحوها البلاد. وفي كل يوم تقع حادثة تؤيد رشد الناس وعمق الإيمان الثوري في قلوبهم، والوعي السياسي للمسؤولين والمتصدين، مما أدى إلى إصابتهم بالخيبة والقنوط والدهشة.

* إنني حينما أنظر إلى الأوضاع العامة وأطلع على الأخبار الواردة من الخارج والتصريحات التي تُصدر، لا أقلق من المستقبل، أي أنني أحس أن الشعب الإيراني قد وصل إلى مرحلة من الرشد، ولله الحمد، في هذا اليوم،

بحيث أنه يستطيع أن يواصل مسيرته التي كان قد بدأها من خلال الالتزام بالإرشادات التي أعلنها الإمام من أجل الاستمرار في تلك المسيرة.

إنّ العالم اقتنع بهذه الحقائق، وصارت الثورة حقيقة لا تقبل التحريف، واستقرت هذه الحقيقة في تركيبة العقلية السياسية في العالم، على الرغم من أنهم كانوا يأملون أن يقرأوا ما بين السطور ويعثروا، في ثنايا التصريحات أو المواقف أو بقية القضايا، على شيء يمكنهم على أساسه أن يقولوا: إنّ الثورة أخذت تستبدل بطريق آخر، وتغير اتجاهها إلى اتجاه جديد، لكنهم يئسوا ـ والحمد لله ـ من الحصول على ذلك.

وقد انعكس هذا اليأس في أخبار وكالات الأنباء وهو يبدو واضحاً للعيان في تصريحات المسؤولين السياسيين، على أية حال فإن الطريق واضح ومستقيم، ووسائل العمل جاهزة لتدير عجلة العمل من جديد، وحقاً أن الشعب يقف على أهبة الاستعداد ويمتلئ بالدوافع الخيرة في خدمة الثورة.

* إنّ تحليلات الآخرين تتضمن تصورات خاطئة عن إيمان الشعب وفرحه بالشهادة، والعلاقة المعنوية الوثيقة التي تربط الشعب والمسؤولين ببعضهما، وعداء الشعب للإستكبار تشخيصه لأعدائه.

في تلك التحليلات نظرات أحادية الجانب، وهي ناشئة من تحليلهم لقضية فقدان الإمام تحليلاً يقرب من الواقع المادي، وأنني شخصياً مؤمن بأننا لو أردنا أن نحلل هذا الفقدان تحليلاً نغض فيه الطرف عن البركات الإلهية والمعجزات

التي كانت تساعدنا طيلة اجتيازنا لطريق الثورة، والتوكل على الله، وإيماننا، والإيمان بالإنسان وطاقاته العظيمة الخلاّقة، وهي أمور يختص بها ديننا، لكان تحليلنا لهذه الحادثة مثل ذلك التحليل الذي قدمه الآخرون ـ والمبني على معطيات الواقع المادية ـ هذا هو تقييمي لهذه الحادثة، ولكننا عادة ما نضع في الحسبان هذه العناصر أيضاً.

* في صباح تلك الليلة التي انتقل فيها ذلك الإنسان الفذ إلى جوار رحمة الله في الساعة العاشرة مساءً، وبعد أن خرجنا من عنده في الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل انتابتني عند الفجر حالة من اللوعة والدهشة، فحدثتني نفسي أن أتفاءل بالقرآن من حالة الإمام، ففعلت، وإذ بالمصحف الشريف ينفتح على سورة الكهف وكانت أول آية في أعلى الصفحة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾(الكهف /٨٨).

فرأيت أن المصداق الكامل لهذه الآية هو هذا الإنسان الجليل... الإيمان والعمل الصالح والجزاء بالحسنى وهو خير الجزاء.

* تلك الساعة الحساسة ينبغي أن أعبّر عنها أنها كانت أشد الساعات العصيبة في حياتنا، أية ليلة تلك الليلة وأي صباح كان ذلك الصباح، وأية ساعات كانت تلك الساعات ـ وأية لحظات كانت تلك اللحظات التي مرت

علينا، كل ذلك يعلمه الله وحده، وهو الذي يعلم ماذا جرى علينا ليلة السبت وصباحه.

لقد كان الأخوة وشعوراً منهم بالمسؤولية وإحساساً بالواجب الملقى على عواتقهم كانوا يؤدون أعمالهم بشكل متسارع ومكثّف جداً وكانوا يذكرون أسمي كعضو في شورى القيادة ـ بشكل متكرر ـ وكنت أرفض ذلك على الرغم من أنني كنت أواجه ذلك الاحتمال أنه لربما تُسند إليّ هذه المسؤولية كعضو من ثلاثة أعضاء أو خمسة أعضاء في شورى القيادة، وكنت ألجأ إلى الله في ذلك اليوم كلما طرح هذا الأمر.

وفي يوم السبت نفسه، وقبل انعقاد اجتماع مجلس الخبراء، كنت أناجي ربي وأقول له وكلّي تضرع وتوجّه إلى الله:

(إلهي أنه ربما يقع النظر عليّ واختياري كعضو من مجموعة أشخاص للقيام بهذه المسؤولية، فإن كان في ذلك ضرر لديني أو دنياي فتولّ أنت يا إلهي توجيه الأمور بحيث لا يقع ذلك.

وحقاً كنت أناجي الله من صميم قلبي وأرجوه ألا يحدث ذلك، لكن مجلس الخبراء تداول الأمر، وبعد ذلك جاءني سماحة آية الله المشكيني وقال لي: لقد تم التداول في القضية حتى وصلت الأمور إلى هذا الانتخاب.

وكنت أحاول ألا يحدث ذلك، وفي مجلس الخبراء نفسه حاولت أن أحول دون ذلك وبقيت أناقش كي لا يحصل هذا الأمر ولكنه وقع بالتالي ومرت هذه المرحلة هكذا.

٤ـ نهج الإمام الخميني وخطه

الفصل الأول: تطلعات سماحة الإمام قدس سره

* إنّ خط الثورة خط الإمام الذي هو خط الإسلام النقي الأصيل وخط القرآن ينبغي مواصلته والالتزام به بشكل تام.

تأملوا لقد توضحت للجميع هوية الإمام الفنية بعد رحلته. ولربما لم يكن الكثيرون يعلمون أن الإمام كان ممن ينظمون الشعر العرفاني مع تلك المضامين العرفانية اللطيفة وذلك الوله والعشق الذي يختص به الإنسان العارف المتوله.

وهذا الشخص الجليل الذي يحمل بين جنبيه تلك الروح العرفانية هو نفسه ذلك الرجل الذي تهز نبرات صوته الاستكبار العالمي، أي أنه يجمع اللطافة الروحية إلى تلك الإرادة الجبارة التي تنجز أعظم الأعمال في عصرنا الحاضر.

ففي الحقيقة إن إقامة الجمهورية الإسلامية لم يكن عملاً من نمط إقامة حكومة جديدة بعد الإطاحة بالنظام السابق بل هو عمل أصعب من هذا بكثير، وخصوصاً أنه تم في عالم كل ما فيه يعتمد على القضايا المادية، وقد مرت حوالي(٢٠٠) سنة مليئة بالعمل والجهود المتواصلة ضد الدين وبالذات ضد الإسلام من بين كل الأديان الأخرى.

فحينما تتم إقامة حكومة إسلامية في إحدى أكثر مناطق العالم حساسية وأهمية يمكن القول عند ذلك أنه أمر شبيه بالمعجزة دون مبالغة.

وقد تمكن هذا الشخص الجليل الفذ أن يعبئ كل هذه القوى الشعبية العظيمة وساعده الله وأعانه على القيام بذلك حتى تحققت هذه المعجزة، ولم ينحرف صاحب تلك النفس اللطيفة والإرادة الصلبة ـ طوال تلك السنوات المتعاقبة ـ حتى ولو بمقدار شعرة عن الطريق القويم لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهذا أمر على غاية من الأهمية.

وفي رأيي أن سماحته يعتبر قدوة وأسوة بالنسبة لنا جميعاً ولكم كفنانين ملتزمين ومؤمنين، وبالنسبة لكل الفئات الأخرى من زوايا مختلفة، وينبغي أن نتعلم منه ونقتدي به.

* إنّ قيادة الجمهورية الإسلامية تضع نصب عينيها هذه الذخيرة الشريفة وغير المتناهية تلك الصورة المشرقة والبعيدة عن متناول الأيدي لشخصية قائدنا الكبير.

* إنّ التطلعات التي أعلنها الإمام هي أسمى التطلعات وأعلاها وأقدسها، وإننا سنواصل السعي الحثيث لبلوغها فهي تطلعاتنا أيضاً. هذه التطلعات التي أعلنها الإمام هي طموحاته وأمانيه، وهي حية تماماً وتزخر بالحيوية أكثر من أي شيء آخر، وهذا ما يخشاه العالم في الوقت الحاضر.

* إنّ شخصية الإمام ترتبط ـ والى حد كبير ـ بأهمية التطلعات التي كان يحملها.

* هذا الشعب الذي تشاهدونه يلطم على رأسه وصدره، ويذرف الدموع، وتكاد قلوب أبنائه تغادر صدورهم من فرط الألم واللوعة، ولو كانت الدنيا كلها ملكاً لأحدهم فإنه مستعد لإعطائها لمن يعلم أنه يستطيع إبقاء الإمام على قيد الحياة للحظة واحدة أكثر... هذا الشعب مصمم على السير وفقاً لأفكار الإمام. وأن أبناءه يعشقون الإمام من أجل فكره وتطلعاته ونهجه وجهاده ومقاومته وهم سائرون على هذا النهج.

إننا سنحافظ على تلك التطلعات فهي تطلعاتنا أيضاً، وتطلعات هذا الشعب، وأن تطلعاتكم هي تطلعات مقاتلينا الأبطال كذلك.

تبيان الإسلام المحمدي النقي

* إنّ مدرسة الثورة التي أسسها الإمام تأبى أي نمط من أنماط الإسلام السفياني والمرواني.

* لقد أوضح لنا إمامنا الفذ الجليل خلال السنوات العشر الماضية معالم الإسلام في شتى المناسك والتقلبات الحياتية، ومن خلال مواقفه المختلفة إزاء شتى الحوادث، ولم يُبق نقطة مبهمة لأحد أبداً.

إنني اليوم، واقتفاء لخطى ذلك الإنسان العظيم، سأدفع بكل ما أستطيع عن مبدأ ولاية الفقيه ومستلزماته وسأعمل بواجبي الإلهي ـ بعون الله ـ في الحالات التي تستدعي ذلك.

* إنّ الفقه الشيعي هو أحد أقوى أنماط الفقه ومناهجه، وهو يستند إلى أسس وأصول قوية للغاية، وقد نشر إمامنا العزيز هذا الفقه المتين ووسع من

دائرة عمله على صعيد واسع وأضفى عليه نظرة عالمية ونظر إليه من زاوية عالمية وحكومية، وأوضح لنا أبعاداً ونواحي من هذا الفقه كانت مخفية من قبل.

*إنّ أفضل ما يمكن أن يمدح به قائدنا العزيز هو القول بأنه عبد الله يعمل على تشخيص تكليفه ـ فحينما يشخّص أن تكليفه الشرعي يكمن في القيام بالعمل الفلاني فإنه يقوم به وينجزه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبارك له في ذلك العمل ويعينه على تحقيقه وهذا يعدّ لنا درساً كبيراً، وهذا هو الإسلام.

وأن أهمية هذه القضية تنبع من كونها تعكس مدى صلابة قائد هذه الثورة وحزمه وإخلاصه وصدقه، وهذا كله درس لنا.

فتعالوا نكون نحن هكذا أيضاً، ولتكن مواقفنا من الحوادث المختلفة وفي مقابل مختلف الأمور مبنية على هذا الأساس قبل أن تكون مبنية على أساس مراعاة الصداقة والحب والمودة والانتماء والفئة وأمثالها.. لنراع التكليف الشرعي قبل أي شيء آخر.

* إنّ ذكر الإمام الخميني واسمه يزلزل قصور القوى الطاغوتية وقلوبها لأنه كان خادم الإسلام والمسلمين ولأنه هو الذي حقق العظمة للإسلام والمسلمين عبر جهاده وجهاد شعبه.

إرشاد الإمام

استطاع الإمام قدس سره أن يرفع راية الإسلام المحمدي الأصيل النقي صلى الله عليه وآله وسلم ولواء الولاية العلوية والحسينية عالياً خفاقاً في الآفاق من خلال إرشاده وزعامته.

لقد جذب إليه أعين العالمين وجعلها تنظر إليه بإعجاب، وجعل آيات تحقيق الفرح للمستضعفين تتجسد في ملحمته الغنية بالبطولات، وبعد ارتحال إمامنا وروحه العزيزة إلى الرفيق الأعلى ربط الشعب على قلبه وسار في طريقه مستبصراً وأكد عزمه وإرادته الفولاذية على مواصلة السير في طريقه.

* لقد كان رأي الإمام منذ السابق يتلخص في أن الشعب المسلم والمؤمن مع الثورة الإسلامية ولذلك فإن من لم يكن مع الثورة فهو ضد الإسلام، وإلا فلماذا يعارض أحد الجمهورية التي تقوم على أساس الإسلام لو كان ذلك الشخص مؤمناً به؟

وبناءً على ذلك فإن من يخالف الجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية فهو مخالف للإسلام، وأن الذين يخالفون الإسلام هم الذي يخالفون الثورة الإسلامية، ولعنة الله على الذين حاربوا الإسلام والثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية من أجل مصلحة إسرائيل.

* لقد سلك إمامنا نفس الطريق الذي سلكه الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ من أجل إعادة الحياة إلى الإسلام، وهو طريق الثورة.

* لقد ربط الإسلام هذه النهضة في فصلها بقضية عاشوراء.

ففي الفصل الأول من النهضة أي في أيام محرم من عام ١٩٦٣ تحولت الحسينيات ومجالس العزاء والمواكب والمراثي ومجالس الخطابة والوعاظ تحولت كلها إلى منابر ومنصات خطابية لبيان قضايا النهضة.

وفي الفصل الأخير الذي سبق انتصار الثورة كان شهر محرم لعام ١٩٧٨ قد شهد بأمر الإمام تكثيف الاهتمام بإقامة المجالس والمواكب الحسينية، وأطلق مقولته المشهورة فيه (أن شهر محرم هو شهر انتصار الدم على السيف) فثار من جديد ذلك الطوفان العظيم العام والشعبي.

* إنّ محبتكم هذه ومحبة هذا الشعب للحسين بن علي ـ عليه السلام ـ تضمن الحياة والبقاء للإسلام وهذا هو معنى مقولة الإمام التي جاء فيها (إن يوم عاشوراء هو الذي حفظ الإسلام وصانه) وهكذا الحال بالنسبة للأيام الفاطمية ـ أيام ذكرى وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام ـ وذكرى المولد النبوي الشريف ومناسبات مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم.

* نشكر الله على أن صار للنفس العيسوي لذلك العبد الصالح وتذكار الأنبياء والأولياء ـ سلام الله عليهم ـ دوراً يتسم بطابع الإعجاز وصار له الخلود في جبين التاريخ، أي أنه ربى أناساً أفذاذاً ذوي نفوس طيبة من خلال تربيته المشابهة لتربية الأنبياء صاروا يتلألأون كالنجوم المضيئة في ظلمات الجاهلية والمادية التي صنعها طواغيت الزمان وأباطرة التبر والقهر في العالم وفرضوها على الناس.

فطفقوا يبثّون نور الفضيلة والمعنوية فيما حولهم ويظهرون للعالم الروح الروحي والمعنوي والمثل الحقيقية.

نشكر الله تعالى أن أثمرت جهود وارث الأنبياء وسالك طريقهم وجعل الله فيها البركة، وأعطى له ولأمته جزءاً تمثّل بالنصر العظيم الذي ظل أمنية لجميع

الصالحين وحكماء الإسلام، وقرن هذا النصر واتبعه بانتصارات باهرة في شتى المجالات وأهمها كلها في مضمار التربية وتزكية نفوس الشباب الذين صاروا بمثابة القواعد المتينة وحراس الثورة والنظام الإسلامي اليقظين، ومنّ عليه بفتح الفتوح الذي كان مفتاح جميع الانتصارات.

* ويقيناً أن الإمام كان يتحرك بالروحية التي كان يتحرك بها الأنبياء، وكان أسلوبه أسلوب الأنبياء، وكان نهجه نهج الأنبياء، وأهدافه أهداف الأنبياء أيضاً.

* إننا سنصدر هذه الثورة، وإننا لن نتردد في تصدير التوحيد وإشاعة منهج الأنبياء وعرض القيم الإنسانية النظيفة والطيبة والطاهرة، والصبر والمقاومة والإيثار.. وإشاعتها في البلدان الأخرى.

عصر سماحة الإمام الخميني قدس سره

* إنني أود أن أتحدث عن شيء للشعب الإيراني والشعوب المسلمة في العالم ولجميع الذين سمعوا باسم ثورتنا وإمامنا الخميني الكبير على الصعيد العالمي، وهذا الذي أريد قوله هو الأساس والقاعدة لحركتنا التي نحيا بموجب رؤيتها ونناضل بموجبها، وهذه النقطة هي:

لقد بدأ عصر جديد ذو خصائص متميزة عن العهود التي مرّ بها العالم من قبل وكان بدء هذا العصر الجديد متجسداً في ظهور الثورة الإسلامية في إيران وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم، ومع تصاعد النضال الطويل الذي خاضه شعبنا بقيادة قائده العظيم الفذ للدفاع عن الثورة الإسلامية.

وبدأ هذا العصر بكل ما فيه من خصائص متميزة، سواء شاءت القوى المادية في العالم أم لم تشأ، وسواءً أرادت أمريكا أم لم ترد. وأخذ هذا العصر يتقدم إلى الحد الذي بدأت تأثيرات هذا العصر الجديد تشاهد على صعيد الشعوب والدول الضعيفة وحتى على مستوى القوى العتيدة والكبرى.

وعندما يشهد تاريخ البشرية عصراً جديداً فلا أحد يستطيع أن يجعل نفسه بمعزل عن تأثيرات ذلك العصر ويحذر منها، وهكذا كان الحال أبان العهود السابقة التي مرّت بها البشرية.

ليس بإمكان أحد أن يجعل نفسه مصاناً من تأثيرات عصر أخذ يشق طريقه في هذا العالم وهو يستند على الأسس الإنسانية والإلهية المتينة.

إننا نريد أن نعلن هذه الحقيقة وهي: أنه على الرغم من أن الكثير من شعوب العالم قد شملتها تأثيرات هذا العصر الجديد وعلى الرغم من أن الكثير من الحكومات الموجودة على ظهر الأرض هي الأخرى خضعت لتأثيرات هذا العصر بحيث تبدلّت حتى الخارطة السياسية للعالم، إلا أننا لا نتوقع أن يقر ببدء هذا العصر المحللون والممسكون بزمام إصدار الأحكام من المقتدرين السياسيين في هذا العالم.

أنهم وإن لم يعترفوا ببدء هذا العهد الجديد لكنهم وقعوا تحت تأثيراته وهم يحسون به ويتلمسون آثاره وهذا العصر الجديد ينبغي أن يسمى (عصر الإمام الخميني).

* لقد أدركت كل الأبصار النافذة ـ منذ البدء ـ إنه وبانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية وهذا العصر يجب أن يطلق عليه (عصر الإمام الخميني) وسماته وملامحه عبارة عن يقظة الشعوب وانتشار الصحوة فيما بينها، وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلط وهيمنة القوى الكبرى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الإنسان، وبروز القيم المعنوية والإلهية.

* إنّ أحد سمات العصر الجديد الذي أوجده الإمام الخميني هو هذا الاحترام لحقوق الإنسان والاحترام للحقوق العامة للشعب، واحترام المطالب المخلصة للطبقات المستضعفة والفقيرة في المجتمع، والتي كان يؤكد عليها مراراً.

* لقد بدأ إمامنا الكبير عصراً جديداً وإننا اليوم ونحن نحمل قلوباً وأنفساً مترعة بالأسى واللوعة لفقدان ذلك الإنسان العزيز الذي لا مثيل له في الأمة الإسلامية، فإن علينا أن نؤدي أعظم وظيفة وهي أن نعرف خصائص هذا العصر الجديد الذي بدأه الإمام وجعل الشعب يسبح في أجوائه، وأن نحافظ عليها.

الثورة الثقافية

* كنا نعيش حياة عادية، فأبدل الإمام ذلك الركود والخمول إلى حيوية ونشاط وصنع كيان الإنسان وصاغه من جديد. ولقد قال هو نفسه في أحد الفتوحات الكبرى التي حققتموها في جبهات القتال عندما أصدر بيانه بتلك

المناسبة: إنّ فتح الفتوح هو بناء مثل هؤلاء الأشخاص والشبّان، وكان هو فاتح فتح الفتوح ذاك.

* التقيته مرة بصحبة عدد من المسؤولين في المجال الثقافي فقال لنا: إنّ قضية الحرب قضية مؤقتة ولكن القضية المهمة هي قضية الجامعات.

* اعرفوا منزلة التعليم والتربية وأهمية عمل المعلم، وينبغي للشبان والفتيان أن يعرفوا قيمة الدراسة والبحث والمطالعة وبناء الذات التي تقع على عاتقهم هذه الأيام.

أنكم أنتم الذين تقومون بمهمة البناء في الغد القريب، وأنكم أنتم الذين تدخلون اليأس في قلب الاستكبار العالمي، وأنتم الذين تبقون على شعلة الأمل متقدة في قلوب المستضعفين بعد أن أحياها إمامنا وأوجد ثورتنا، أنتم الذين سوف تقومون بذلك يا جيل الشباب والفتيان في هذا اليوم وأنتم أيها المعلمون والمربّون.

هذا هو الأمر الأساسي الذي كان يؤكد عليه دائماً إمامنا العزيز، ويُعتبر جزءاً من محكمات الثورة وخط الإمام ومن القضايا الضرورية فيهما.

* إن الناس بحاجة هذا اليوم إلى الأخلاق والى تعميق فكر الثورة لديهم، لكي يعلموا ما هو الأساس والقاعدة التي استندت إليها هذه الثورة التي قامت، فينبغي التفكير ملياً في كيفية سد احتياج الناس.

والمرجع الأفضل لذلك هو كلمات الإمام قدس سره وتعاليمه وإرشاداته، وبعض المؤلفات والكتابات التي أصدرها بعض كبار شخصياتنا خلال هذه السنوات الإحدى عشرة، ولله الحمد.

وطبعاً فإن المهتمين في مجال البحث والتحقيق يستطيعون مراجعة القرآن الكريم والحديث الشريف في باب حاكمية الإسلام وشموليته وكونه دين الحياة.

* لقد كان إمامنا الفذ خلال فترة قيادته التي استمرت عشر سنوات ونيّف ـ بعد انتصار الثورة ـ يحذرنا نحن المسؤولين ويحذر الشعب الإيراني طراً من الغرور والأنانية والتكبر، وكان يقول دائماً: حذار من أن تكونوا أسرى لهوى النفس.

الاعتماد على الناس

* إنّ لدينا في ثورتنا عدة ثوابت ومبادئ أساسية فهمناها منذ البداية، وعلّمنا إيّاها الإسلام، وأوضحها لنا إمامنا الحكيم العظيم وفقيهنا الفذ الجليل.

أحد هذه الأصول هو: أي نظام إن لم يكن مبنياً على أساس إرادة الناس وتأييدهم لا يمكن أن يكتب له البقاء والاستمرار. فالناس هم الذين يستطيعون إقامة نظام ما، وحينما يقيمونه فإنهم هم الذين يحافظون عليه، حتى لو اجتمعت كل القوى ضدهم.

فإذا لم يكن النظام نظاماً شعبياً ولا يقوم على أكتاف الناس ووفقاً لعقائدهم وعواطفهم وإرادتهم فإنه لا يمكن أن يستمر ويدوم، وهذا هو أحد الأصول التي نؤمن بها.

وهناك أصل آخر وهو: إنّ فرض فكر ما أو عقيدة من نمط معين أو نظام اجتماعي على الناس ليس عملاً ناجحاً، وخصوصاً حينما يكون ذلك الفكر والعقيدة متعارضاً مع دين الناس ومنافياً لعقيدتهم.. وهو الآخر من بين أصولنا الفكرية والإسلامية، فإن ما يكتب له البقاء هو العقائد القلبية للناس وأفكارهم الدينية.

* طوال فترة العشر سنوات وبضعة أشهر التي كان يعيش بيننا فيها إمامنا الفقيد الفذ قدس سره ويقوم بقيادة أمتنا ومسلمي العالم ـ بعد انتصار الثورة الإسلامية ـ كان سماحته يركز في خطاباته على الحضور السياسي للشعب، أي حضور الشعب في ساحات النشاط السياسي، وهو يؤكد: إنّ الناس ينبغي أن يعتبروا هذا البلد ملكاً لهم، وإن مصير هذا الشعب وهذا البلد إنما هو في أيديهم فرداً فرداً، وأن منح العظمة والعزة لهذا البلد سوف يكون ممكناً عندما يريدون ذلك ويصممون عليه، وسيصبح استقلال البلد جذرياً وحتمياً حينذاك.

* يندر أن رأينا شخصاً مثل الإمام ـ أو سمعنا به ـ يكن للناس احتراماً في أعماق قلبه ويثق بهم هكذا، لم يكن يحمل لهم محبة في قلبه فحسب بل كان إلى جانب المحبّة، الثقة والاعتماد على الناس وعلى شجاعتهم وإيمانهم وكان يثق بحضورهم الدائم ووفائهم.

وحقاً وإنصافاً إن الناس قد أدوا لقائدهم جزاء ثقته المطلقة بهم، وكان الأمر يشكل امتحاناً عجيباً سواء بالنسبة للإمام أو لكم أيها الناس، فقد كان ينظر ذلك الإنسان الفذ إلى الناس بنفس المنظار الذي كان ينظر به الأنبياء إليهم.

إنّ الأنبياء لم يهتموا بالناس اللامعين والبارزين وإنما كانوا يبحثون عن الناس المؤمنين والجماهير المحرومة. لم يكن الإمام يهتم كثيراً بالخواص، وكان يعشق عامة الناس ويتحدث إليهم ويطلب منهم ما يريد.

* لقد فقد متطوعو قوات التعبئة المتحمسون المخلصون أباً عطوفاً وحقاً كانت العلاقة بينكم وبين ذلك القلب المشرق والرؤوف مثل علاقة الأب مع ابنه.

وربما لم يحدث مرة واحدة أن يرد ذكركم وذكر أعمالكم البطولية في ساحات الحرب وفي ميادين المختلفة إلا وأثنى عليكم وعلى أعمالكم وتحدث عنها برقة ورأفة، وأعرب عن تقديره لمتطوعي قوات التعبئة وتحركهم الحماسي. وقد رأينا بعض الأمور التي في هذا الصدد والتي تخطر في ذهني الآن ومنها أنه حينما كانت تعرض على سماحته آراء الناس المنخرطين في سلك القوات الشعبية فإنه يبدي رد فعل مشوب بالمحبّة والأبوة الحانية.

* مثل هذا الإنسان الذي كانت له تلك العظمة، كان يقول ـ حتى أواخر حياته ـ عندما يرد أمامه ذكر الشعب يقول: إنّ الشعب خير منّا وأفضل.

كان يرى نفسه ضئيلاً في قبال عواطف الناس وإيمانهم وشجاعة الناس وتضحياتهم وينحني لهم إجلالاً وإكباراً، وكان ذلك من بين جوانب العظمة لديه.

* في أثناء الحرب، كانت هناك أمور لم يكن من المصلحة ذكرها التصريح بها جهراً، ولذلك لم تكن تُعلن على رؤوس الأشهاد، بيد أنه في ما عدا هذه الأمور، فإن كل ما يحدث يجب أن يُخبر الشعب به.

وهكذا كانت الأمور في عهد حياة سماحة الإمام قدس سره وحينما كان المسؤولون يزمعون على القيام بخطوة ما كانوا يستشيرونه، ومن بين التوجهات التي كان يقولها: عليكم أن تقوموا بما تقومون به بشكل بحيث تستطيعون إخبار العشب به، وبحيث يمكن تنوير أفكار الشعب به، فالمعيار هو مدى تفهم الشعب للثورة وتفاعله معها. فهذا النظام نظام شعبي.

الدفاع عن المستضعفين

* إنّ شعار اجتثاث الغدة السرطانية (إسرائيل) الذي طُرح من قبل الإمام الفذ والقائد الإسلامي الكبير سماحة الإمام الخميني قدس سره ينبغي أن يُطرح الآن أيضاً بشد وقوة وأن يتحول إلى صرخة عامة لكل المسلمين في الحج، على الرغم من حنق التساوميين وذوي الألاعيب السياسية.

* إننا نقف إلى جانب الشعب الفلسطيني المناضل والرشيد وضد الصهاينة المجرمين، وسنبقى كذلك، وأننا نوصي الأخوة الفلسطينيين بأن يواصلوا السير في طريق الله وهو سبيل النضال ضد العدو الغاصب وحماته بالتوكل على الله والاعتماد عليه حتى افناء الكيان الصهيوني الغاصب.

إنّ شعبنا الكبير ومتطوعي التعبئة المؤمنين الفدائيين يعتبرون الدفاع عن فلسطين فريضة وواجباً دينياً، وليس هناك أي هدف لا يمكن الوصول إليه إذا كان في سبيل الله.

إننا سندافع عن الشعب الأفغاني في مقابل أولئك الذين يعاملونه بالقهر والزور ونعتقد أن الشعب الأفغاني الذي استطاع طرد القوات الأجنبية من دياره

عبر التضحية بدماء آلاف الشهداء، لسوف يتمكن ـ بفضل التوكل على الله وقطع الأمل بالقوى التي تتدخل في شؤونه وبجميع الذين يعملون في خدمة أسيادهم أولئك ـ من إقامة نظام إسلامي مستقل عن الشرق والغرب ومبني على إرادة الشعب.

وإننا نعتبر أنفسنا ـ دوماً ـ مكلفين باتخاذ موقف حازم تجاه ما يتعرض له الشعب اللبناني المقاوم المظلوم من مؤامرة صهيونية ـ مارونية ـ أمريكية مشتركة، وسوف نبقى نشعر بهذا التكليف.

هذا هو طريقنا، وهذه هي وصية إمامنا العظيم وتعاليم إسلامنا وسنبقى أوفياء لها دوماً.

* إنّ خط الثورة هو خط الإسلام والمسلمين والدفاع عن المظلومين والمستضعفين، وهذا الخط هو الطريق الذي جعل الشعب الإيراني يتحول ـ بعد أن سلكه ومضى فيه قدماً ـ من شعب متأخر ومتّكل على الآخرين إلى أكثر الشعوب حيوية واستقلالاً في العالم المعاصر، ومن خلال دفع الشعب إلى إبداء الإيمان والمحبة والعشق حملهم هذا الخط على تقديم التضحيات المثيرة للدهشة والعجب. وهذا الخط يمثل هويتنا الوطنية والثورية.

ثمة عبارة كان يلهج بها سماحة الإمام كثيراً خلال الإحدى عشرة سنة الماضية، وقد جُربت دائماً خلال الإحدى عشرة سنة الماضية، وقد جُربت دائماً خلال تلك الفترة، وهي (ان هذه الثورة وهذا النظام مدين دائماً للحفاة، وأن القوة التي ستصونهما هي أولئك الحفاة والطبقات المحرومة في المجتمع).

* ويقيناً أن التحرك نحو فك العقد التي يعاني منها الناس وتمهيد الطريق لحياة مرفهة وسليمة وحسنة يتمتع فيها الناس بالوفرة والرخاء وهبوط الأسعار والاستفادة من الامكانات الموجودة، إنما هو واجب إسلامي يقع على الجميع القيام به وخصوصاً على عواتقكم أنتم المسؤولين ومدراء البلاد، وهو أمر عملي وممكن التحقيق ويعتبر من التطلعات الإسلامية حتماً. وبالتالي فقد كان من تطلعات إمامنا العزيز.

* إنّ الشعب الإيراني لم ينكص على عقبيه أثناء اشتعال الحرب وعلى الرغم من تعرضه لشتى أنواع الضغوط. ولم نتساهل أو نغض الطرف في أي قضية من قضايا الحرب، التي دامت ثماني سنوات، مراعاة واستحصالاً لرضى أمريكا والاتحاد السوفيتي.

لقد كان جميع من حولنا يقولون لنا أن السبيل لتليين مواقف أمريكا والاتحاد السوفيتي وجعلهما يتعاملان معكم بالرأفة هو التراجع عن مواقفكم الصلبة والحازمة والمتينة والتساهل في اتخاذ الموقف منهما، ولكن قيادة الشعب الإيراني العظيمة ونفس هذا الشعب الفذ الشجاع لم يتراجعا حتى خطوة واحدة، ومن الأولى بنا اليوم ألاّ نتراجع.

* كان إمامنا الكبير والعزيز مظهراً للمقاومة والثبات في مقابل أعمال البغي والعدوان وأن الجميع يعترفون بصلابة الإمام التاريخية الفريدة من نوعها.

دور المرأة في المجتمع الإسلامي

* عليكم ـ في مثل هذه الملتقيات والندوات ـ أن تبادروا إلى تدوين الأساليب الصائبة لمواصلة خط الإمام والثورة في مجال المرأة واستمرار السير في هذا الطريق.

* لقد كان معلم الثورة الكبير سماحة الإمام الخميني قدس سره يرى أن للمرأة دوراً كبيراً في الثورة سواءً في إيجادها أو في استمرارها، ويرى أن دورها في تكامل المجتمع الإسلامي وبلوغه ورشده ـ إسلامياً وثورياً ـ مهم للغاية.

لقد كان للسيدات دور بارز ومشرق في انتصار هذه الثورة واستمرارها وفي مواجهة الوقائع الكبيرة التي شهدها العقد الأخير من عمر الثورة.

الفصل الثاني: طريقنا هو طريق الإمام قدس سره

* إنّ فترة السنوات العشر من عمر الثورة ـ بعد انتصارها ـ خلال الحياة المباركة للإمام الخميني قدس سره مثّلت نموذجاً لحياة مجتمعنا الثوري، وأن الخطوط الأصلية للثورة هي تلك التي رسمها الإمام.

أما الأعداء السذج الطامعون ذوو القلوب العمي، والذين ظنوا أنه برحيل الإمام سيبدأ عصر جديد بمعالم متميزة من عصر الإمام الخميني قدس سره فهم قد وقعوا في خطأ كبير.

إنّ الإمام الخميني حقيقة حية دائماً:

اسمه لواء هذه الثورة.

وطريقه طريق هذه الثورة.

وأهدافه أهداف هذه الثورة.

إنّ أمة الإمام وتلامذته الذين نهلوا من المعين الفياض لذلك الموجود الملكوتي، ووجدوا فيه عزتهم وكرامتهم الإسلامية والإنسانية، يشهدون اليوم أن الأمم الأخرى وحتى الشعوب غير المسلمة راحت تنظر إلى لائحة التعالي الثورية لذلك القائد العظيم باعتبارها سر خلاصها، وتجد فيها حريتها وكرامتها.

لقد سرت اليقظة اليوم في قلوب المسلمين طراً، وفي كل مكان، ببركة ذلك الإنسان الوحيد في عصره. وراحت قصور الإمبراطوريات التسلطية الظالمة تهتز

وتسير نحو الفناء، وأدركت الشعوب قيمة النهضة الشعبية، وراحت تجرّب حقيقة انتصار الدم على السيف، وهي كلها في كل مكان تركّز أنظارها ترنو بأبصارها إلى الشعب الإيراني المقاوم الذي لا يعرف الكلل أو الملل.

ومن الطبيعي أن لا تهتم أميركا وباقي عتاة الاستكبار بشيء أكثر من تركيزها على أن يعود الشعب الإيراني أدراجه من طريقه الذي طواه خلال الأعوام العشر بعد انتصار الثورة الإسلامية ـ أو يشكك ويتردد فيه.

إذ أن ذلك سوف يخمد شعلة النور التي أشعلت بصيص الآمال في قلوب الشعوب، ويدعها تشك في قيمة موضوع انتصار الدم على السيف.

إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكل صراحة:

إنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباري لا غير، وأن الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أميركا وأعوانها حاضراً بكل قوته بين شعبه ومجتمعه، وأن عصر الإمام الخميني مستمرّ وخالد وسيبقى مستمراً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه وهدفنا

وإرشاداته المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل.

يجب أن يعتبر كل الشعب ـ وخصوصاً الشبّان الأعزاء واليافعين ـ أنفسهم جنوداً لإمامهم الحبيب، وأن يسيروا ـ متوكلين على الله ومستمدّين من

توجهات ولي الله الأعظم (الإمام المهدي) أرواحنا فداه ـ نحو تحقيق الأهداف السامية لإمامهم بكل قوة واقتدار وشموخ، وليعلموا أن النصر النهائي سيكون حليفنا حقاً:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

* لم يوجّه أي شعب حتى الآن من الإهانات والتحقير إلى أميركا العاتية المستكبرة بقدر ما وجهه شعبنا إلى ذلك النظام المستكبر.

هذا البلد هو نفس البلد الذي كان في السابق، وأرضه نفس تلك الأرض، لكنه اختلف الآن ١٨٠ درجة.

وينبغي المحافظة على هذه القضية، ويجب صيانة هذه العزة والشموخ، فهما تركة الإمام وميراثه. فإذا كنا نحب الإمام، وإذا كان خلو مكانه صعباً علينا ومرّاً لدينا، فكيف يمكن أن يملأ هذا المكان الخالي.

والجواب، أنه ينبغي مواصلة السير في دربه واقتفاء أثره.

* وخلال مدة عشر سنوات ونيّف من قيادة الإمام الراحل العظيم، قامت الجمهورية الإسلامية بتحقير جبابرة الزمان وعتاة الأرض بشكل عملي، وإبطال الأسطورة القائلة إنهم القوى التي لا تُهزم، ولقد أكدّ إمام الصالحين على نقطتين مهمتين هما:

ـ الحفاظ على الجمهورية الإسلامية.

ـ وصيانة مسيرتها واتجاهها الصحيح المستقيم.

كان ذلك الفقيه الكبير الخبير بالإسلام الذي لا نظير له ولا بديل، يعتبر الحفاظ على الجمهورية الإسلامية أهم وأسمى من أي واجب آخر.

* وعلينا أن نسعى الآن ـ قدر الإمكان ـ للاستفادة من عطاء العناصر المعنوية لشخصية هذا الرجل العملاق الفريد في التاريخ، الذي ظهر إلى الوجود في عهد حياتنا واستطعنا أن نتمتع برؤيته، والإصغاء إلى حديثه، وسماع صوته ورؤية حركاته ووجناته ونظراته وحركات يديه.

كل واحدة من هذه الأشياء تستبطن معانٍ غزيرة ومفاهيم جمّة، وجميعها ممتعة وجديرة بالنظر والنقل مثلما يروى من كبار الشخصيات التي شهدها التاريخ.

لقد شاهدنا كل ذلك منه بأعيننا ولمسناها لمس اليد وتمتعنا برؤيتها، وكان ذلك فخر كبير وفيض عظيم، والآن وحيث صارت أفكاره وإرشاداته تحت اختيارنا فعلينا أن نعرفها حق قدرها.

* لقد واصل الإمام تحركه في هذه الخطوط بإصرار ودون تعلل، وينبغي علينا أن نواصل القيام بهذه الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها الإمام، وأن نقتفي آثار حركته الدائبة ونسير لتحقيق نفس الأهداف.

* لقد جعل الإمام الراحل العظيم قضية فلسطين على رأس قائمة أهدافه منذ الأيام الأولى لبدء النضال في إيران، واستمر في الاهتمام بها والتأكيد عليها بعد انتصار الثورة.

وبعد عروجه الملائكي إلى الملأ الأعلى، تحدث معنا من خلال وصيته السياسية الإلهية ومع كل مسلمي العالم عنها. إنها واجب لا يمكن غض النظر عنه.

* وعلى الرغم من أن الإمام ليس فيما بيننا اليوم، لكن إرشاداته وتوجيهاته وخطه والقبس المضيء الذي أشعله ما زال بيننا، وتلامذة الإمام موجودون، وهذا الشعب ومحبو الإمام وأبناؤه حاضرون في ساحة الأحداث، فحافظوا على هذا الحضور واستمروا فيه.

* إذا أردنا أن تبقى ثورتنا سائرة إلى الأمام بنفس السرعة والاندفاع، بذات الإتقان والاستقامة وفي الاتجاه الصحيح والخط الصائب دون انحراف إلى اليمين أو اليسار، وأن نحقق الأهداف المضيئة التي حدّدها لنا إمامنا العزيز ونجعلها نصب أعيننا وأعين شعبنا بل والشعوب الإسلامية، وإن أردنا ألا ننحرف عن المسير المؤدي إلى بلوغ تلك الأهداف والتطلعات وأن نبقى بمأمن من هذا الانحراف عن الأهداف الذي هو أكبر خطر يهددنا، فعلينا أن لا ندع الغبار والغش يحول بيننا وبين تلك الأهداف والتطلعات، وعلينا إذا أردنا ذلك أن نبذل المزيد من الجهود للقيام بهذا الأمر.

* أيها الأخوة الأعزاء

بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، كان المسلمون على أنماط شتى ومستويات متنوعة، فمن مستوى أمير المؤمنين عليه السلام أو فاطمة

الزهراء (سلام الله عليها) إلى مستوى مسلم عادي كان يعيش آنذاك. لم يكونوا يحملون أحاسيس وتصورات متشابهة ومتماثلة لبعضها البعض، لكنهم أحسوا جميعاً أن عليهم مواصلة السير في الطريق.

وهذا يشابه نفس الإحساس الذي يحمله الشعب الإيراني اليوم، إذا يشعر الجميع أنه ينبغي مواصلة السير في ذات الطريق، وعلينا أن نحمل ذلك على محمل الجد.

* والآن، سنحت الفرصة الكبرى والاستثنائية لأمثالي لنستفيد من عطاء تلك الذخيرة الغالية التي هي كالوديعة الإلهية والإلهامية المعنوية.

وأنا الذي أعتبر نفسي تلميذاً متواضعاً وابناً مطيعاً وعاشقاً ولهاناً لروح الله، كان من حسن توفيقي أنني ارتويت طوال مدة العشر سنوات، وبضعة الأشهر التي أعقبت عودة ذلك القائد الكبير إلى إيران، وحتى لحظة عروج تلك الروح الملائكية، ارتويت من عطاء ذلك النبع الفياض، وكنت ألمس لحظة بلحظة ـ تلك الهداية الإلهية بكل وجودي.

فكلامه وإرشاداته.

وفكرته ونصيحته،

وأمره ووصيته،

وأخيراً عمله وسلوكه،

كلها أنماط متنوعة من عطائه الوافر الذي كان ينساب من تلك القمة الشاهقة، فكان ينتهل من سلسبيلها اللذيذ قلة قليلة من صحبه الذين كانوا على سفح الوادي.

* نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفق كل مسلمي العالم أن يسعوا حثيثاً من أجل تحقيق النصر للإسلام على الصعيد العالمي، وكما نسأله عزوجل أن يوفق الشعب الإيراني العظيم لسلوك نفس هذا الطريق المليء بالمفاخر والشرف، والذي قادنا فيه إمامنا الفذ.

* إنني تلميذ سماحة الإمام الخميني قدس سره وأفخر بأنني قد تعلمت أصول الثورة من ذلك الإنسان العظيم.

* الواجب الأول هو أن نرى ما هي العناصر الأصيلة في تحرك الإمام، لأن هذا التحرك الذي بدأه الإمام منذ عشرين عاماً ونيّف، استطاع بتوفيق الله أن يُكسب الإسلام العزة في العالم، ويغير أوضاع المسلمين من إحساسهم بالمهانة والحقارة إلى شعورهم بالعزة والشموخ، ويؤسس نظاماً وحكومة وكياناً اجتماعياً على أساس الإسلام، وهو طريق طويل وصعب، وقطع هذا الطريق له مستلزمات وشروط، ولأن إمامنا كان حائزاً لتلك الشروط فقد تمكن من قطع هذا الطريق، وطبعاً فإننا صادقون في تصميمنا على مواصلة السير فيه.

* لقد اختار ذلك القائد الفذ للشعب الإيراني وثورتنا الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية أسمى الأهداف وأقدس التطلعات وأكثرها أصالة، وقام

بتدوين تلك الأهداف في عشرات المؤلفات التي كتبها، وأرشدنا إلى الطريق الموصل لها.

إنّ أهداف إمامنا وتطلعاته تتمثل بالنضال ضد الاستكبار العالمي، والمحافظة على الاعتدال الحازم في خط (لا شرقية ولا غربية)، وفي الإصرار الشديد على الاستقلال الحقيقي والشامل للشعب، أي تحقيق الاكتفاء الذاتي بالمعنى الكامل، وفي الإصرار الأكيد واللامتناهي على صيانة أصول الدين والشرع والفقه الإسلامي، وفي السعي لتحقيق الوحدة.

ومن أبرز القضايا التي جعلها الإمام أهدافاً وتطلعات لثورتنا ونظامنا على الدوام، القضية الفلسطينية، فقد ركز عليها كثيراً وتحدث عنها طويلاً، وكذلك تحقيق العزة للإسلام والشعوب الإسلامية وعدم الخوف والإحساس بالرهبة من القوى العالمية، وإقامة القسط والعدل في المجتمع الإسلامي والحماية الدائمة وغير المحدودة للمستضعفين والمحرومين والشرائح الاجتماعية ذات الدخل المحدود، حيث لم يكن يغفل للحظة واحدة عن حمايتهم ورعايتهم.

هذه هي الأهداف والتطلعات التي كان يحملها إمامنا العزيز.

* وكما قلت لكم فإن هناك خطين لا ثالث لهما

أحدهما: خط الثورة وأنصارها وحماتها،

والثاني: خط أعداء هذه الثورة ومناوئيها.

* إنّ صدق القائد وصفاءه ووعيه وقف أمام أي اعوجاج ومساومة وتعامل مع العدو، وبالتالي رفض أي شيء يبعث عن الانحراف عن الهدف، وبذلك اتجه صراط الثورة المستقيم نحو أهدافه بكل ثقة واستقامة ودونما أي اعوجاج.

* قبل كل شيء، يجب إحياء ذكرى الإمام الخميني أعلى الله كلمته ودروسه الخالدة. فهي مشعل الطريق ومنار الدرب، وهي التي ترسم الخط الأساس للحكومة، وتعيّن المعايير وتحدد المعالم الأصيلة والحياتية لهذا الطريق المبارك، والنهاية المشرقة له.

إن حياة الخميني الكبير وشخصيته كانتا تجسيداً للإسلام المحمدي الأصيل ﷺ وتبلوراً للثورة الإسلامية.

لقد كان هو وكلامه وأصبعه المشيرة ـ كالخضر عليه السلام إذ يهدي السبيل لهذه الحركة الإلهية، المبنية لكل النقاط المبهمة، والمزيلة لكل الريب أو التردد ـ وسيبقى كذلك أيضاً، ويجب أن لا ينسى الشعب الإيراني، والمسؤولون معنيون بذلك أكثر من غيرهم، هذا الدرس الكبير أبداً.

* إنّ شخصية الإمام الخميني غير مرتبطة بوجوده المرئي بل أن عظمته تنبع من فكره ومنهجه وإرشاداته وتعاليمه، ولذلك فإن الاهتمام بإنشاء المرقد والصحن المحيط بضريحه يعني السعي للمحافظة على هويته الفكرية وإحياء ذكراه.

* إذا أردنا أن نحافظ على هذا الفكر دون أن ينصب اهتمامنا أيضاً على إحياء شخصيته من خلال تخليد ذكره وذكرياته، فمن الأكيد أننا سنقع في خطأ.

* المهم هو أن نبقي في أذهاننا ذكر الإمام ومنهجه وأهدافه ونحافظ عليه.

* إنّ الخطوة التي تستهدف إبداء الاحترام والتكريم لمنزلة ذلك الإنسان العظيم هي الصدقة الجارية التي توصف بأنها ما دامت الدنيا قائمة والإسلام موجوداً فلن يندرس أثرها ولن تضيع نتيجتها.

* يجدر بذوي الاهتمام بالشعر والذوق الفني أن يضمنوا أشعارهم تلك النقاط المضيئة التي تضمنتها حياته المباركة.

* علينا أن ندقق النظر في كل لحظة من تلك السنوات العشر وأن نأخذ الدرس والعبرة من كل كلمة من أقوال الإمام، فإن تاريخنا لن يشهد تكرر مثل هذا الفصل بهذه السهولة وفي القريب العاجل، لأنه كان فصلاً استثنائياً في حياة شعبنا، وقد صرنا نواجه هذه الحقيقة الواقعية الآن.

* كان الإمام جزءاً من هذا النظام، ولم يكن شيئاً منفصلاً عنه، فالإمام يعني الجمهورية الإسلامية، وانبثاق النظام الجمهوري.

إذاً فشخصية الإمام وصلابته وقوته وموقفه الحاسم تعني شخصية الجمهورية الإسلامية وصلابتها وقوتها وموقفها الحاسم.

* في أي سن كنتم، وفي أي منطقة تقطنون، حدثوا أنفسكم دائماً حديث النفس واسألوها: ماذا يريد مني الإمام؟ هل أني أقوم بما يريده الإمام مني ويتوقعه؟ وهل هذا هو الخط المستقيم الذي يوصلنا إلى أهداف إمامنا وتطلعاته؟

* لنقم بإحياء ذكر الإمام، وذلك يتم عن طريق تبيان الأبعاد الحقيقية لشخصيته والملامح الأصيلة لها، وتبيان أفكاره وتبيان قبسات من وصيته، وتوضيح المحكمات والمسلّمات من تعاليمه وإرشاداته وتوضيح توجهاته.

* إنني أقول لكم أن قبّة ضريح الإمام ومرقده وصحنه وأبنيته التي أشار إليها حضرة الأخ الأنصاري، هذه بمجموعها إذا لقيت اهتمامكم وبذلتم في سبيلها الجهد والمال والعمر والإبداع فهذا يعني أنه عمل من أجل شخص معين، وإنما هو في سبيل هوية الإمام، ولها أثر في بقاء ذلك الفكر، وأن عملكم صدقة جارية، وأنه يؤدي إلى تخليد ذكر الإمام.

* وعلى هذا الأساس فإن هذا المزار المبارك سيكون مركزاً للبركات إن شاء الله ومركزاً للنور ونشر الأفكار الإلهية، ومركزاً للأجواء العرفانية واهتمام العشاق من أهل البصيرة والمحبة، وسينتفع كل امرئ من هذا المكان بنحو من الأنحاء ومن خلال مجال اهتمامه.

إتباع الإسلام المحمدي النقي

* إنني أقول: أنه لو لم يكن في مجتمعنا حب الإمام الحسين عليه السلام وذكر الإمام الحسين وذكر مصائبه ووقائع عاشوراء لما عُرف هل كانت الثورة ستنتصر بهذه الفترة الزمنية وبهذه الكيفية أم لا؟

إنّ هذا العامل عامل مؤثر جداً في انتصار النهضة، وقد استفاد إمامنا الفذ من هذا العامل إلى أقصى ما يمكن من أجل تحقيق الهدف الذي ثار من أجله الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

* إنّ هذه خدعة أن نفصل الإسلام عن منفعة الناس ومصلحة الشعب ونقول دعوا الناس ومصير الشعب وشأنه، وانصرفوا إلى الدين والله والإيمان.

هذا هو الإسلام المحرف، وهو الذي قاومه الإمام قدس سره منذ بداية النضال، وقد أيد الكثير من الأشخاص الصالحين ومن العلماء كلام الإمام في هذا المجال بيد أن بعض المتحجرين والجهلة لم يفهموه حتى النهاية وما زال هناك بعض الأشخاص لا يفهمون هذه الحقيقة ولا يعني أن الأفكار الإسلامية ليست منفصلة عن جماهير الناس ومصالحهم.

* لا تفسروا الإسلام بتعابير مختلفة، أنه نفس الإسلام الذي تحدث عنه إمامنا طيلة حياته، وقد ضحى من أجله السنتين الأخيرتين من عمره المشرق بكل ما يستطيع. إسلام الإمام هو الإسلام الذي علمنا إياه وتحرك هو في الطليعة منه.

* إن طريقنا طريق الإسلام الذي يخشاه أعداء الله، وهو الذي يدخل السرور والأمل على المستضعفين والمظلومين في العالم. إسلامنا هو ذلك الإسلام الذي ينبغي أن يخشاه أمثال أبي جهل وأبي سفيان، وإذا لم يخشوه فينبغي الشك فيه.

ذلك الإسلام الذي لا تعقد الطبقات المستضعفة آمالها عليه ولا يحبونه ليس هو الإسلام، وينبغي الشك في إسلام لا يمكنه تحقيق الآمال المكبوتة للشرائح المحرومة في أنحاء العالم.

إنّ البشرية المؤمنة بالدين تنتظر اليوم بأسرها المصلح، والمسلمون كلهم ينتظرون المهدي المنتظر الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف ومن سماته إشاعة العدل والقسط واجتثاث جذور الظلم من على وجه الأرض.

* وهنا يتجلّى لنا معنى قول إمامنا الفقيد، ذلك الداعي إلى الله والفاني في الله والذي صنف فيه الإسلام إلى الإسلام المحمدي الصافي، والإسلام الأمريكي.

فالإسلام المحمدي هو إسلام العدل القسط.

وإسلام العزة والشموخ.

وإسلام حماية الضعفاء والحفاة والمحرومين.

وإسلام الدفاع عن حقوق المظلومين والمستضعفين،

وإسلام الجهاد ضد الأعداء ورفض المساومة والمداهنة مع العتاة وأهل الفتن.

وإسلام الأخلاق والفضيلة المعنوية.

أما الإسلام الأمريكي فإنه مجموعة من الأفكار التي يُطلق عليها إسم الإسلام زوراً، فهو مسخّر في خدمة مصالح القوى الاستكبارية وتسويغ أعمالها، وهو ذريعة لتطويق أهل الدين ومحاصرتهم، لكي يقوم أولئك بالتحكم ـ كما يحلو لهم ـ في أمور المسلمين، والتلاعب بمصير الشعوب المسلمة.

وهو وسيلة لفصل جزء عظيم من الأحكام الاجتماعية والسياسية في الإسلام عن مجموعة أحكام الدين، وحصر الدين في المسجد ولا أقصد المسجد باعتباره قاعدة لتصريف أمور المسلمين وتدبير شؤونهم مثلما كان في صدر

الإسلام بل يستخدم كزاوية للإنفصال عن الحياة وفصل الدنيا والآخرة عن بعضهما.

* الإسلام الأمريكي إسلام الناس المترفين البَطِرين المبذرين، الذين لا يفكرون بغير أنفسهم ولا يهمهم إلا ذواتهم ولا يبحثون إلا عن تحقيق ملذاتهم وشهواتهم الحيوانية الرخيصة.

أجل هذا هو الإسلام الأمريكي الذي يدعو الناس إلى نبذ السياسة واجتنابها والابتعاد عن الفهم والبحث والعمل السياسي، بينما الإسلام المحمدي النقي يعتبر السياسة جزءاً من الدين لا يمكن أن ينفك عنه، ويدعو المسلمين كلهم إلى الفهم والعمل السياسي، وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن يتذكره المسلمون دائماً من أمامهم الفقيد ولسان الإسلام المعبّر.

إتباع أوامر الإمام قدس سره وتطلعاته

* في جميع الثورات الكبرى التي شهدها القرن العشرون تقريباً. عندما تبدأ الشعوب والحركات المناضلة كفاحها ويتطور العمل النضالي بعض الشيء ضد قوة أو سلطة معينة، فإنهم يلجأون إلى حماية قوة أخرى ودعمها. ولم يحدث أن شعباً قد اعتمد في مواجهته لسلطة ظالمة وقوة غاشمة على نفسه فحسب بعد التوكل على الله وترك الاعتماد على الآخرين أو لم يستند إلى قوة أخرى.

بينما كان هذا هو الطريق الذي سلكه الشعب الإيراني بقيادة الإمام الفذ، وصار له أتباع وسالكون كثر تدريجياً في العالم. وهذه هي أيضاً من خصائص

العصر الجديد وفي هذه المرحلة التي بدأ الإمام بنهضته وثباته وتوكله على الله ومن خلال إجلاله لله وخشوعه له واعتماده على القيم المعنوية وثقته بأفراد الشعب.

وسيخلّص هذا العهد الشعوب من شر القوى العالمية المتسلطة، وسيقرّب عهد زوال القوى المادية الكبرى في العالم، وهذا من بركات ذلك الإنسان الفذ.

* لنقل بكل مشاعرنا: (الآن وقد شاء التقدير الإلهي أن تحوّل هذه الأمانة الإلهية وهذا الثقل الذي كنت تحمله إلى الآخرين في منتصف الطريق، وتسمو أنت إلى الملكوت الأعلى إلى جوار رحمة ربك، فإننا لن ندع هذا الثقل وهذه الأمانة موضوعة على الأرض، وفي هذه الحالة فإن حبنا له وتعلقنا به وادعاءنا التلمذة على يديه سوف يكون صادقاً.

وليفكر كل واحد منكم في هذا الشيء أيها الأخوة، مع نفسه وفي أي مستوى كان أو أي عمل يؤديه، صغيراً كان أم كبيراً، وعاهدوا أنفسكم عليه، وإلا فإننا إن لطمنا رؤوسنا وبكينا عليه وكنا نتحرك في اتجاه غير الاتجاه الذي كان يتحرك فيه الإمام، فإن هذا ليس حباً صادقاً له وليس احتراماً ووفاءً له. فشروط الوفاء هي أن نتحرك في نفس الخط ونحو نفس الهدف الذي كان يسعى لتحقيقه الإمام.

* ما هو واجب اليوم أتباع هذا الإنسان الفذ وهو واجب أفراد الشعب الذين كانوا تلامذة هذا الأستاذ الكبير والجليل. إنّ علينا أن نعلم أن عيون العالم

تراقب الشعب الإيراني هذا اليوم، مثلما كانت تراقبه في العام الماضي في مثل هذا اليوم الذي كانت فيه كل عيون العالم وقلوبه تتجه إلى طهران.

* إنني أود أن أعرض عليكم نقطة كان الإمام يكررها مراراً وهي أن القوات المسلحة ينبغي أن تبتعد عن التدخلات السياسية. وهذا لا يعني أن حرس الثورة الإسلامية يجب ألا يفهم السياسة. أبداً فإن جميع أفراد الشعب ـ بما فيهم القوات المسلحة، يجب أن يفهموا السياسة، وأن من الضروري امتلاك القدرة على التحليل السياسي ولكن الممنوع هو الدخول في التنظيمات والأعمال السياسية.

* نحن الشعب الإيراني الذين كنا أقدم أتباع الإمام الخميني وأصحابه تقع علينا أكبر وظيفة وهي أن نتذكر الدروس التي علمنا إياها ذلك الإمام الفذ.

* وكما قال إمامنا العزيز فإن المحافظة على آثار الحرب ومخلّفاتها في بعض المدن والمناطق الحربية يعتبر من الوظائف الحالية المهمة. فإن هذا العمل وإعادة إعمار ذكريات مرحلة المقاومة المنتصرة وإقامة متحف حربي ينبغي أن تكون من ضمن برامج الحكومة والمؤسسات العسكرية.

* إذا كنا صادقين في ادعائنا حب الإمام، وهو كذلك، ولا يمكن لأحد أن يشك في أن الشعب الإيراني صادق في حبّه للإمام وعشقه له، فما دمنا كذلك وإن أردنا أن يبقى الإمام حياً فعلينا أن نبقي نهجه ودرسه مستمراً، وأن نجعل أهداف الإمام المحدّدة والواضحة أهدافاً حقيقية وأصلية لنا وأن نتحرك باتجاهها ولا نفتعل هدفاً من عندنا غيرها.

* وطبعاً فإن واجب الجميع إزاء إهانة المقدسات الإسلامية واضح ومحدد، وإن حكم الإمام باعتبار سلمان رشدي واجب القتل مهدور الدم لتأليفه كتاب (الآيات الشيطانية) قد حدّد للجميع تكليفهم الشرعي بالنسبة للحالات المشابهة الأخرى.

إنّ حكم الإمام حول ذلك الكاتب الغوي باقٍ على حاله ولم يتغير، وعليه أن يبقى بانتظار تنفيذه بحقه حتى الموعد المقدر له.

* لنستفد من إرشادات إمامنا العزيز التي توجد في متناول أيدينا وهي تخص كل المجالات.

* إنّ التعاون بين الحكومة والشعب والارتباط العاطفي بين الشعب والمسؤولين هو أحد المظاهر الأساسية للحكومة الشعبية، وكان هذا التعاون هو الذي قام بحل الكثير من المشاكل المهمة جداً، ويجب أن يستمر دائماً بنفس القوة والمتانة.

واليوم حيث تواجه حكومة الجمهورية الإسلامية وهي تحت إدارة إحدى الشخصيات البارزة في الثورة وأحد تلامذة الإمام وصحبه القدامى، مجموعة من المهام الجسيمة والوظائف الكبرى الضرورية لتحقيق تقدم البلاد والتنمية والوطنية والدفاع عن قيم الثورة على الصعيد العالمي، فإن هذا الارتباط والعلاقة الصميمة ينبغي أن تكون أكثر متانةً من أي وقت آخر.

* كان الإمام كثيراً ما يقول: إنّ صيانة النظام الإسلامي والمحافظة عليه أوجب الفرائض، وهذا هو الشيء الذي قلنا عنه أنه يجب أن يبقى في ذاكرتنا دائماً، أن نسأل أنفسنا: ماذا كان يريد الإمام منا.. إنه حفظ النظام.

* إني وتبعاً لما سار عليه الإمام، أرفض إضعاف الأجهزة التي تقع على عاتقها مهام حساسة، ومن جملتها وزارة الخارجية والذين هم في الصفوف الأولى من جبهة المواجهة مع السياسات الأجنبية.

ما هذه العادة السيئة الشائعة والتي يتم التغافل فيها عن النقاط الإيجابية، ولكن ما أن تُشاهد نقطة سلبية حتى ترتفع كل الأصوات وتعلو من كل صوب.

* وفيما يخص الندوة والتشكيلات المتعلقة بأئمة الجمعة، ذهبت بادئ الأمر إلى سماحة الإمام، واقترحت عليه قائلاً:

إنّ لدينا عدداً كبيراً من أئمة الجمعة في كافة أنحاء البلاد ولم يكن عدد أئمة الجمعة بهذا المقدار وهؤلاء العلماء وأئمة الجمعة يشكلون شبكة شاملة ومعنوية تقوم بإدارة الشؤون المعنوية للمجتمع والمحافظة على الطابع العام للإيمان في البلاد، فإذا كنتم توافقون على وصل هذه الشبكة بعضها ببعض ففيها نعمة.

وقلت كذلك: إننا إذا تمكنا فسنقوم بتشكيل شبكة عامة لأئمة الجمعة يتيسر من خلالها ربط الأشخاص مع بعضهم، ويمكننا بعد ذلك من إقامة اتصالات وروابط بين أئمة الجمعة في البلاد ونظرائهم في شتى أنحاء العالم، وإقامة ندوات ومؤتمرات لهم في المستقبل.

وقد رحبّ سماحته بالفكرة وسُرَّ بها، فجئنا إلى قم وأقمنا تلك الندوة الأولى التي انعقدت في مدرسة الفيضية، وهكذا قام هذا الكيان واستمر حتى اليوم.

إنّ تشكيل هذه الشبكة من أئمة الجمعة والنظر إلى هذه المجموعة من العلماء على أنهم الإطار المعنوي والإيماني في البلد يعتبر ذا أهمية كبيرة وينبغي ألا يُغفل عنها.

* الكثير منكم أيها الأخوة الموجودون تعرفون آرائي، ومثلها كان رأي سماحة الإمام قدس سره وبقي رأيه هكذا حتى النهاية، وهو أن الجيش والحرس لا ينبغي أن يُحل أي منهما في الآخر، ولا ينبغي إلغاء أي منهما، بل يجب أن يبقيا كلاهما.. وهكذا كان رأيي دوماً.

بينما لو كان رأيي غير هذا فوجوب الطاعة واتباع الإمام أن أجعله وفقاً لرأي الإمام فكيف والحال أن رأيي كان منذ السابق الإبقاء على الجيش والحرس كليهما في الوقت نفسه، وقد أخبرتكم بذلك مراراً.

* إنّ مبدأ ولاية الفقيه وارتباط جميع الطرق الأصلية للنظام بمركز الولاية هي النقطة المضيئة في النظام الإسلامي، وأن تحققها هو التذكار الحي والخالد لسماحة الإمام الخميني قدس سره.

وقد برهن شعبنا على وفائه وإخلاصه الكامل لهذا الأصل، خلال السنوات الإحدى عشر الأخيرة، على جميع الصعد، وكان إمامنا الفذ أكبر مدافع عن مبدأ ولاية الفقيه والمستعد لتحمّل كل آثاره ولوازمه.

وهذا الأصل هو الذخيرة اللامتناهية التي ينبغي أن تحلّ مشاكل نظام الجمهورية الإسلامية قد أشد اللحظات حساسية وفي أخطر المنعطفات التي

تعترض مسيرة الجمهورية الإسلامية المليئة بالأخطار، وأن تحل كل العقد المستعصية.

* إن كون النظام معنوياً وإلهياً ـ يحتم عليه أن يكون معنوياً وإلهياً في ميدان الأجهزة الإدارية والمؤسسات الحاكمة، وإن هذا هو سبب كل ذلك التأكيد على قضية ولاية الفقيه من قبل علماء الإسلام والشعب الثوري والمخلصين ومن قبل إمامنا الفذ رضوان الله تعالى عليه وهذا هو الذي يجعلهم يعتبرونه مهماً.

* ينبغي تقوية قواتنا المسلحة ودعمها سواء في الحرس أو الجيش، وهذا أحد الأمور التي يؤكد عليها الإمام ويلهج بها، وربما كان بعض الأشخاص يعتقدون أن سبب قولي بضرورة إبقاء الجيش والحرس كليهما هو كوني أحمل توجهات معينة.

كلا، هذا خطأ، ولا ضرورة لأن نعلن كل ما نعلمه على رؤوس الأشهاد، وإنما هو رأي الإمام وما كان يقول به وما يريده، وطالما أكد على هذا الموضوع وكلّما طرح هذا الأمر على بساط البحث فإنه يقول:

ينبغي تقوية الجيش والحرس كليهما، حافظوا على الجيش وعلى الحرس معاً.

ومتى ما طرح أحد غير هذا الرأي لم يكن سماحته يوافق عليه، هذا هو خطه وتشخيصه ورأيه، وهو رأيي أيضاً.

* إنّ العمل سيكون صعباً دون وجود التجهيزات والأسلحة، وسوف تزداد الخسائر، وإننا عازمون على تجهيز كل واحد من أصناف القوات المسلحة بأكثر الأسلحة تطوراً وأفضل التجهيزات، والى الحد الذي تسمح به إمكانيات البلاد، وطبقاً لحاجات كل منهما، ومن بينها حرس الثورة الإسلامية، وسوف نعدّ له ما يحتاجه، ومن الضروري أن يتم ذلك. فإذا كانت لدى الحرس مثل تلك التجهيزات فسيكون قوياً مقتدراً ومثلما كان يريد إمامنا العزيز.

* إنني أكن حباً وإخلاصاً صادقاً لكل واحد من أفراد قوات التعبئة في أرجاء البلاد من الرجال والنساء، والكهول والشبّان، وكما قال إمامنا الراحل فإنني آمل وأدعو الله أن يحشرني في زمرة متطوعي التعبئة. إنّ قوات التعبئة مفخرة وأحد قيم الثورة، فاسعوا إلى المحافظة على هذه المعنويات التعبوية للبلاد والثورة والإسلام.

* لقد أمر إمامنا العزيز منذ الأشهر الأولى لانتصار الثورة بتعبئة جيش العشرين مليون مقاتل وتنظيمه، وأن كلمات إمامنا الفذ العزيز ينبغي أن لا تتحول إلى موجات صوتية تسبح في الجو دون أن يكون لها أثر ملموس، ثم تتلاشى تدريجياً، بل على العكس، ينبغي أن تزداد آثار هذه الكلمات ونتائجها وأن تتبلور عملياً.

وينبغي أن يكون لدينا جيش يتكون من ٢٠ مليون مقاتل في هذا البلد، ولا يوجد لدينا اليوم مثل هذا الجيش، وطبعاً فإن عدداً كبيراً من أبناء الشعب قد التحقوا بجبهات الحرب وسجلوا أروع البطولات، ووصل بعض متطوعي التعبئة

إلى مستويات قيادية عليا في حرس الثورة وما زال هؤلاء القادة موجودين في صفوف حرس الثورة حتى اليوم، لكن الحاجة باقية لذلك الجيش الذي تحدث عنه الإمام.

إنّ جيشاً كهذا من سماته أن أفراده (٢٠ مليون مقاتل) يقفون على أهبة الاستعداد دوماً، وبمجرد أن يتم استدعاؤهم يلتحقون بعد مضي عدة ساعات بمقراتهم ووحداتهم ويعرفون قادتهم ومجموعاتهم القتالية، ومواقعهم العسكرية، ويعرفون أين توجد أسلحتهم ويقومون بتسلمها وتكون لديهم التدريبات المسبقة الضرورية... ينبغي أن نمتلك مثل هذا الجيش.

*إنّ من الانجازات الكبرى التي قام بها الإمام الخميني قدس سره هو إقامة صلوات الجمعة هذه. لذا كان هذا الإنجاز هديته إلى الشعب، وكنا محرومين قبل ذلك سنوات طويلة من نعمة صلاة الجمعة، أي إما أننا لم تكن لدينا صلاة جمعة وأما أنها كانت لدينا موجودة في بعض الأماكن بشكل نادر ولكنها تفتقد حتماً إلى ذلك التأثير الذي يمكن أن يكون لها في ظل الحكومة الإسلامية.

*إنّ لهذه المنصة (منصة صلاة الجمعة) دوراً مهماً للغاية في مثل هذه الظروف ولها تأثيرات كبيرة لصيانة الوجود المعنوي للمجتمع وتوفير السور الآمن له في مجال الأمور المعنوية. ولو لم تكن لدينا هذه المنصة فلا أدري ماذا كان سيؤول إليه وضع الثورة، والوضع المعنوي للناس. وهذه إحدى بركات الثورة، وقد كان الإمام يهتم بهذه القضية.

* الموضوع المهم وغير الجديد هو: الأهمية الحيوية الفائقة لـصلاة الجمعـة في حراسة هذه الثورة وصيانتها، وتأثيرها في إدارة البلاد وتطور الأمور الجارية فيها وكما قلت سابقاً وكلنا قال ذلك في صلوات الجمعـة مـراراً، وأكـد عليـه الإمام رضوان الله تعالى عليه قولاً وعملاً مراراً وتكراراً.

* إذا ما صار بعض الأشخاص يهمسون هنا وهناك أنه لو كان الإمـام علـى قيد الحياة لأبدى رأيه في الموضوع الكذائي. ورغم أنني لا أود الخـوض فـي هذا الموضوع إلا أني أذكّر هؤلاء أنه لو كان الإمام موجوداً فإنه لا يرضى أبـداً بمخالفة القانون بل وبهذا الشكل وعلى الصعيد الواسع.

لقد كتب الإمام رسالة في أواخر عمره الشريف وهي باقية من ضمن الوثائق المحفوظة الباقية من ذلك الإنسان الفذ، والكثير مـن النـاس يتـذكرونها، وقـد نشرت في كل مكان.

لقد أبدى وجهة نظره بشأن المؤسسات التي لم تكن مذكورة في الدسـتور، وأقيمت بناء على أوامره وتوجيهاته بسبب ظروف الحرب والمـصالح المتعلقـة بتلك الفترة(من قبيل مجلس تشخيص مصلحة النظام وغيره) وقد أعاد النظر في ذلك الأمر وقال أنها كانت تخص زمن الحرب.

كان الإمام ملتزماً بالقانون ومن خصائص ذلك الإنسان الفذ الالتزام بالقانون، وألا تقع مخالفة للقانون، ونحن ـ أيضاً ـ سنقوم بما يمليه علينا واجبنا القانوني.

نحن نرفض أن يأتي شخص وينسب للإمام ما لم يقلـه، بينمـا هـو يجهـل أسلوب الإمام وطريقته، إنّ أهل البصيرة وأهل الخبرة والذين كـانوا معاشـرين

وملازمين له هم أعلم بآرائه، فليس صحيحاً أن يأتي كل من هبّ ودبّ ويقول لو كان الإمام حياً لفعل كيت وكيت.

* إذا تعرضت أي من الجهات القانونية المسؤولة للهجوم معنوياً من قبل عدد من الأشخاص فإن من واجبي أن أدافع عن تلك الجهة المسؤولة.

ولذلك فإنني أقول أن مجلس صيانة الدستور جهة مسؤولة مقدّسة أُسست على التقوى، ويجب أن يكون الفقيه العضو في هذا المجلس مجتهداً وعادلاً ألا تكفي شهادة الإمام باجتهاد شخص وعدالته؟ بل أن الإمام لا يمكن أن يعين عضواً في مجلس صيانة الدستور ما لم يكن مجتهداً وعادلاً أيضاً.

* وأنا أيضاً أُعرب عن تأييدي لمجلس صيانة الدستور مثلما هو شأن الإمام دائماً في دعمه لهذا المجلس ـ لقد كان سماحته يحترم مجلس صيانة الدستور كثيراً، وقد أعرب عن ذلك مراراً، سواءً في وصاياه أو بياناته وخطاباته، وإنني سأنتهج النهج نفسه وأسير في نفس الطريق إن شاء الله.

* لقد ذكر الإمام جماعة المدرسين أيضاً في نفس البيان وخاطب طلبة الحوزة العلمية ورغبهم في الانجذاب إليهم والالتفاف حولهم، فماذا تعني هذه العبارة؟

إنّ الجميع يستطيعون أن يفهموا اتجاه البيان ومضمونه. ففي الوقت الذي كان شائعاً في الحوزة العلمية أن جماعة المدرسين صارت مسلوبة الاعتبار كلياً وليس لديها أية صلاحية للتصرف في أمور الحوزة والثورة، أراد الإمام أن يعارض ذلك بالكامل وقد عارضه تماماً في ذلك البيان.

وقد أوصى بأن تُراعى وجهات نظر طلبة الحوزة الثوريين الشباب، وتؤخذ بنظر الاعتبار. كما أوصى الفضلاء والمدرّسين أن يعاملوهم بالإحسان، وأوصى أولئك الطلبة أنفسهم بالالتفاف حول جماعة المدرسين.

إذاً، فلا يمكن أن تكون لدينا حركة طلابية حوزوية وعامة إذا كان كل شخص يعمل وفق هواه وكل امرئ لا يعترف بغيره، أو كما يقول المثل(كلّ يجرّ النار إلى قُرصه)، بل يجب أن يعمل الجميع معاً.

وكما ورد في النظام الداخلي، فإن فئة الطلاب يجب أن تلاحظ في المرتبة الأعلى فهم مجموعة المدرّسين، وتدرك أن شورى إدارة الحوزة أعلى مرتبة منهم

* ربما يمكن القول أن هناك موضوعاً أو اثنين كان يؤكد على ضرورتهما الإمام، ومن يراجع أقواله وخطاباته يستطيع معرفة أن هناك موضوعين وثلاثة على الأقل كانت تحظى بتأكيد الإمام واهتمامه بها.

ومن هذه الأمور قضية وحدة القلوب ووحدة الألسن ووحدة السبل، والتكاتف والتعاون والتآزر، وعلينا أن نجعل هذا الأمر هدفاً أكيداً لنا، حفاظاً على حرمة الإمام وإجلالاً لروحه وإكراماً له، وعلينا أن نسعى لتحقيق هذه الأهداف مهما كان الثمن. ويستطيع مجلس الشورى الإسلامي أن يكون مظهراً جيداً لهذه الوحدة.

* إنّ مجلس الشورى الإسلامي هو موضع أمل الأمة ومظهر اقتدار الأمة واختيارها، إنه مكان مقدّس بإمكانه دائماً ـ وينبغي له ـ أن يطبّق رأي الشعب

المسلم الثوري وإرادته، وأن يعكس مصلحة الشعب على شكل قوانين واجبة التنفيذ في نسيج النظام وتصرفات الحكومة.

إنه بيت الشعب وملجأ الحكومة الشعبية ومظهر قيم الإسلام المحمدي النقي وحسب تعبير إمامنا الحكيم الفقيه فإنه عصارة فضائل الشعب.

* إنّ إصرار الإمام قدس سره خلال فترة السنوات العشر بعد انتصار الثورة على ضرورة دعم الشعب للمسؤولين والحكومة والسلطات التنفيذية والقضائية لم يكن معناه أن أياً منهم لم يرتكب خطأ أو يقع في اشتباه، لأن اي إنسان لا يسلم من الوقوع في الخطأ، بل كان يعني أنه حينما يكون الخط العام للحكومة صحيحاً والطريق الذي تسلكه طريق صحيح وأن الحكومة تتحرك في الاتجاه الصائب والعدو يوجه لنا الضغوط فإن على أفراد الشعب الإعراب عن تأييدهم وحمايتهم للذين يتولون تسيير هذه القافلة العظيمة.

وهكذا الأمر هذا اليوم، وإنني واقتداءً بإمامنا الفذ قدس سره أقول: إن دعم المسؤولين وإسنادهم واجب وفريضة شرعية.

ولهذا فإن جميع مسؤولي البلاد وأولئك الذين يحملون على عواتقهم ثقل المسؤولية جديرون بأن يدعمهم الشعب ويعينهم، فمساندة رئيس الجمهورية واجبة، ومساندة الحكومة واجبة، ومساندة السلطة القضائية واجبة. عليكم أن تساندوهم ليصبحوا أقوياء ويستطيعوا أن يقوموا بوظائفهم خير قيام.

* كلكم أينما كنتم مسؤولون، على حدّ سواء، عن حماية النظام وصيانته وحل المشاكل والعقد المستعصية التي يواجهها البلد.

وإننا إذا لم نحلّ هذا البلد، فلا نستطيع المحافظة على الثورة، وطبعاً فنحن لا نتمكن عندئذ من تصدير الثورة. فعلى الجميع أن يساندوا المسؤولين وخصوصاً الحكومة، هذه وظيفة ينبغي القيام بها.

وهذا كان دأب الإمام طيلة الأحد عشر عاماً من إمامته المباركة وقيادته الاستثنائية.. كان يقول ذلك دائماً ولا ينظر إلى من يقف على رأس الحكومة والعجيب أنه قال لي مرة أن كل من سيصادق عليه المجلس فسأسانده وأؤيده، هذا في الوقت الذي لم يكن يعلم من الذي سيظفر بمصادقة المجلس.

المحافظة على الارتباط بالله

* إنّ هذه الحركة التي أوجدها الإمام في العالم، وهذا الطوفان الذي أوجده في المحيط، لم يكن متيسراً إلاّ لإنسان حازم ذي إرادة فولاذية وعزم راسخ ونبوغ وذكاء، وإنسان شجاع نافذ الرؤية بعيد المدى، ولو لم تكن للإمام صفة الارتباط الوثيق بالله، وكان يحوز كل تلك السمات لما كان قادراً على القيام بما قام به.

وهذا الارتباط بالله متيسر لنا، أي أننا إذا كنا لا نمتلك تلك الخصائص السامية التي تمتع بها الإمام، فعلى الأقل يمكننا أن نمتلك الارتباط بالله، أنا وأنت نستطيع ذلك، وتستطيعون أنتم امتلاك ذلك أكثر مني، لأنكم شبّان، ولأن مرآة قلوبكم أكثر صفاءً وطهارةً وتلألؤاً من مرآة قلوبنا، وأنتم أقدر على الارتباط بالله منا.

إنكم شبّان ناضجون ومن جيل الثورة، وإنكم أناس قضيتم عشر سنوات من أعماركم في أكثر فصول حياتنا مصيرية في ظل حكومة الدين، أنكم أيها الشبان قضيتم عشرة أعوام من أفضل سني أعماركم في زمن انبثقت فيه حكومة الإسلام وسادت فيه القيم الأخلاقية.

بينما قضيت أنا وأمثالي بقدر تلك السنوات أو أكثر منها في ظل حكم الطاغوت ولذلك فإن قابليتكم على جذب الأنوار الإلهية أفضل منا.

إذاً، ما دمتم تمتلكون هذه الأرضية الجيدة وهذا العامل الذي ضمن للإمام تحقيق كل هذه النجاحات، وهو الارتباط بالله والتعبد لله، والتقوى، وذلك التحلي بالورع، ليس فقط التقوى العميلة بل حتى التصميم على اجتناب الذنوب والمعاصي والانحراف، عليكم بإحياء ذلك لديكم والتركيز عليه ـ على الرغم من أن ذلك متجسد عندكم، لكن عليكم القيام بتقويته، وإذا حصل ذلك فإن كل أمورنا ستسير على ما يرام، وسنطوي ذلك الطريق ونصل إلى تلك الأهداف والغايات.

* لقد أوضح الإمام لنا الإسلام في شتى المناسبات ومجريات الحياة اليومية وفي كيفية التعاطي مع الأحداث، بحيث لم تبق لدينا نقطة مبهمة، وهذا هو طريقنا وهو طريق آمن ومليء بالطمأنينة والأمل والوضوح.

وإن الأمل موجود في هذا الدرب لكن الجهاد ضروري أيضاً، وهذا الجهاد لا يمكن أن يحصل دون الارتباط بالله وتنقية الذات واجتناب الرذائل الأخلاقية.

* إنّ الاستئناس بالله والمناجاة مع الله كان سبيل الإمام، وإن الهداية الإلهية هي ثمرة هذا الارتباط والالتصاق بالله، وهذا ما حصل خلال السنوات العشر التي تلت انتصار الثورة وهو ما برهنتم عليه أيها الشبان المخلصون وذوو القلوب الطاهرة في شتى الجبهات، وأثبتم تحليكم به، ولمستم ثماره، وهذا هو درس الإمام.

* أنتم الذين تمرّون بمرحلة الشباب وقلوبكم وأرواحكم طاهرة ونقية تستطيعون القيام بذلك بسهولة أكثر منا، ولذلك فإن طي الطريق متاح لكم أكثر منّا فأنتم جيل الثورة أبناؤها وأنتم نبتتها وفسيلها النامي. تستطيعون أن تكونوا من العباد الصالحين المؤمنين، والمتعبدين الذاكرين، والأتقياء الورعين، ولهذا فإنني أوصيكم أن تحافظوا على هذه الخصائص، وهذه هي وصية الإمام.

* برهنوا أن أمة الإمام وأبناءه قد تعلموا من إمامهم الكبير أن الله رقيب عليهم وشاهد على أعمالهم، وإذا كان إمامهم قد مات فإن ربّ إمامهم معهم أينما كانوا.

* إذا كانت أهدافنا أهداف الإمام، وإذا كان طريقنا طريق الإمام، فينبغي أن تكون وسائلنا مثل وسائل الإمام. ولقد كانت وسيلة الإمام استمداد العون من الله. فتعالوا نطلب العون من الباري عزوجل، وهذا غير ممكن باللسان فقط، بل يجب أن يكون عبر الإخلاص واجتناب الذنوب وتقوية العلاقة فيما بيننا وبين الله، وهو الدرس الدائم لنا، وعلينا أن نتذكر هذا الدرس دائماً.

* علينا سد الفراغ الذي تركه فقدان الوجود المبارك والمقدس لإمامنا العزيز، عبر إخلاص الشعب وبذل المزيد من الجهود، والسعي الدائب والحضور الفعّال.

وحينما نفتقد مثل تلك الشخصية العظيمة وتلك الكفة الراجحة الثقيلة(وقد حصل ذلك الفقدان) فعلينا أن نسعى لملء الفراغ الذي خلّفه من خلال الارتباط والتضامن والإخلاص وعبر إيجاد الارتباط الوثيق بيننا وبين الله، ونستمر في طيّ هذا الطريق، وسنواصل السير فيه بعون الله.

* لقد قال الإمام ببيانه العرفاني المنبعث من بصيرة الإنسان الإلهي المتكامل والعبد الصالح: إنّ العالم كله تحت نظر الله، ونحن الآن تحت نظره.

* سيبقى طريقنا بعد الآن هذا الطريق نفسه، ويمكن أن نطوي الطريق بالإيمان والعمل الصالح الإخلاص والتقدم إلى الأمام، فنحن الآن في منتصف الطريق.

* لم يترك الإمام حتى اللحظات الأخيرة من حياته الذكر والصلاة، وفي تلك الساعات التي قضيناها عند الإمام وهي الساعات الأخيرة من عمره الشريف، كان يقول لنا السيد أحمد نجل الإمام العزيز قبل ظهر هذا اليوم، بدأ الإمام يقيم الصلاة، ولا أدري هل كان يصلّي النوافل، واستمر هكذا حتى سألنا: هل حلّ وقت صلاة الظهر؟ فقلنا له: نعم، وعندئذ أقام الفريضة وقد صلى النوافل. وبعد أن انتهى من إقامة صلاتي الظهر والعصر، بدأ يلهج بذكر الله ويقول: (سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

ويكرر ذلك كثيراً حتى أغمي عليه، وبقي حتى اللحظة الأخيرة يلهج بذكر الله.

وعلى هذا الأساس، علينا نحن محبّي الإمام إن نعتبر أعماله دروساً لنا. وينبغي أن نواصل أعماله هذه ونتحلّى بخصاله الروحية.

صيانة الاتحاد ووحدة الكلمة

* عليكم أن تتعلموا هذا الدرس السامي من إمامنا العزيز أينما كنتم، وخصوصاً الشعب الإيراني بأن وحدة الكلمة هي قطب الإسلام.

* هذا هو مبدأنا الأساسي الدائم وهو توحيد الكلمة والاتجاه، والتضامن والانسجام، وتجميع القوى ولم الشمل في الخط المقدس الذي رسمه ذلك المبين الحقيقي للإسلام ومرشد هذه الأمة وهذا الجيل، وهو إمامنا الفذ.

* لقد لاحظتم في توجيهات سماحة الإمام كم كان قدس سره يركز على موضوع الوحدة والتفاهم والمحبة وخصوصاً بين الحرس والجيش. وأنني أعتقد أن شرط الوفاء هو أنكم وحيث أن كلمتكم مسموع لدى الكثير من الأخوة والحرس، حاولوا أن تزيلوا مشاعر التنافر من جانبكم أنتم.

* إنني أعتقد أن وصية الإمام الحقيقية هي أنه ينبغي سحق المرء لآرائه الشخصية حينما تكون مؤدية إلى الافتراق على الآخرين فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالأهواء والميول والرغبات والغرائز المادية. فالموقف منها معروف سلفاً.

* إذا تمكن الشعب الإيراني عبر توفيق الله ووحدة الكلمة ومن خلال المحافظة على شعارات الثورة والإبقاء على خصومته وعداوته للقوى الكبرى وأعدائه الحقيقيين الألداء، من القيام بأشواط البناء، فإن روح الإمام المقدسة سوف تُسرّ له، وسيعينه دعاء الإمام صاحب الزمان ولي الله الأعظم.

على الخطباء المتحدثين في الاجتماعات العامة أن لا يتطرقوا ولو إلى كلمة واحدة تشم منها رائحة الخلافات، وليس هناك أبداً ما يسوّغ لنا أن نطرح في اجتماع ما أموراً يمكن أن تثير الخلافات بين شريحتين من الناس.

فالقضايا التي تثير الخلافات والانشقاق والنزاعات والاصطدام سواء كانت من القضايا السياسية أو الدينية، وسواء كانت تخص الحكومة وعلماء الدين أو القضايا المتعلقة بالمرجعية أو القيادة أو أي شيء آخر، ينبغي أن لا تتطرق إليها كلمات الخطباء الدينيين، بل على العكس تماماً، إذ ينبغي للخطباء أن يسعوا للمحافظة على الأجواء المفعمة بالمحبة، ويوصوا الناس والمسؤولين بالتعاون وينصحوهم بالانسجام ووحدة الكلمة.

* إنّ اجتياز طريق الإمام غير ممكن عبر اختلاف الكلمة والتشتت. وينبغي المحافظة على وحدة الكلمة واجتناب الاختلاف بأي شكل من الأشكال. ويجب ألا يقوم أحد بأي شيء يؤدي إلى إثارة الخلافات.

* تذكروا هذه الجملة التي كان يقولها الإمام دائماً وهي أن رمز كل الانتصارات وحدة الكلمة والحضور الدائم في ساحة الأحداث.

* منذ مدة طويلة خطر في بالي هذا الأمر وهو إقامة المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وكنت أنوي مفاتحة سماحة الإمام به في ذلك الحين، إذ كنت أعلم أنه يرحّب بهذه الفكرة.

والهدف من هذا العمل هو أننا رأينا أن شعار وحدة المسلمين بالإضافة إلى أنه شعار صحيح فهو ضروري، ومن وجهة نظري أنه قضية استراتيجية، أي ليس موضوعاً تكتيكياً وتفرضه المصلحة، كي نقول: إنّ مصالحنا تقتضي أن يكون لنا ارتباط بالمسلمين من غير الشيعة، وإنما كانت تراودني هذه الفكرة منذ فترة طويلة وكنت وما أزال أعتقد بأن على المسلمين تقليل خلافاتهم المذهبية والطائفية تدريجياً ومحوها بالكامل.

فوجود هذه الخلافات يخدم الأعداء، ولهذا ومن خلال هذا الحافز فقد اعتبرت الجمهورية الإسلامية قضية الوحدة قضية أساسية، وأكد عليها الإمام كثيراً، وقامت الجهات المسؤولة في الجمهورية الإسلامية ببذل الجهود وإلقاء الكلمات ووضع الخطط على هذا الأساس.

* إنني أقول أيها الأخوة أن الواجب اليوم هو أولاً: إنّ هذه الوحدة والصفاء والأخوة ينبغي للجميع صيانتها بكل ما يستطيعون فهذا هو السر الأصلي للانتصار، ويجب صرف النظر عن اختلاف الأذواق، وهذا لا يعني التخلّي الكامل عن الأذواق، بل عدم جعلها سبباً للخصام بين بعضنا البعض وعرقلة كل واحد لعمل الآخر.

*إنّ كل حركة اليوم تظهر الانشقاق والاختلاف العميق المقترن بالنزاع، واي عمل من شأنه إضعاف المسؤولين المخلصين والمثابرين، يعتبر خلافاً لمصالح الشعب ومضاداً لتطلعات الإسلام وإمامنا الفذ.

* لقد رأيتم كم كان الإمام يوصي بوحدة الكلمة ويؤكد عليها في بياناته المختلفة، وفي خطاباته القيمة وفي توصياته الخاصة.

وإنني أتذكر أنه في تلك السنوات التي شهدنا فيها فتنة الليبراليين، واستقطبت اهتمام أنحاء البلاد، كنا نذهب إلى الإمام فنشكو له ما نعاني منه، أو نرى إن كان لديه تكليفاً يريد أن يكلفنا به، فكان يكرر علينا مراراً ويقول: إذا كانت لديكم خلافات فيما بينكم فلماذا تريدون أن تصفوا حساباتكم على رؤوس الأشهاد؟ وطبعاً فحينما قال لنا ذلك سمعنا وأطعنا ولم ننبس بعدها بكلمة.

* لقد قال الإمام مراراً، أنني لا أخشى من الهمهمات وبعض الاختلافات اللفظية السطحية، فهي غير مقلقة، لكنني أخشى أن نقوم بتضخيمها، وبالتالي نقوم بتفريق صفوف أبناء الشعب عن بعضها البعض.

* علينا أن نتذكّر هذين الدرسين من الإمام في هذه الفترة من الزمن:

أحدهما: وحدة الكلمة والمحافظة على الانسجام والمحبة لبعضنا البعض ونبذ عوامل التفرقة والاختلاف.

والآخر: حضور الشعب بأسره في ساحة الأحداث.

* إننا حينما نقوم بانتهاج سبيل التلاحم والوحدة على الرغم من بعض الخلافات والتباين في الأذواق والرؤى فإن ذلك يعتبر احتراماً لروح إمامنا.

* إننا نواجه طريقاً طويلاً للوصول إلى المستقبل المشرق للبلاد والشعب خاصة في ظل مواجهة أعداء معاندين عتاة يرغبون في منعنا من اجتياز هذه الطريق. فعلينا بحكم العقل والدين والتجربة أن نقوّي صفوفنا ونوحّدها ونتجنب الخلافات فيما بيننا.

* إذا اتحدنا على محور الإسلام وخط الإمام وصرنا قلباً واحداً، وأخذ يسود بيننا العطف والرأفة والتعاون فلن تبقى أمامنا أية مشكلة مستعصية على الحل.

* إنّ المناقشات تدور هذه الأيام حول الجامعة والحوزة العلمية والوحدة، وهذه الأشياء الثلاث لها أهمية فائقة في الثورة، وأن قضية وحدة الجامعة والحوزة التي طرح شعارها أول مرة الإمام نفسه وانطلقت فكرتها من قلب ذلك الحكيم العارف والملهم، وطُرحت من ضمن إرشاداته الإلهية إنا تستند على هذه الأصول الثلاثة، وكل واحد منها تعتبر من القضايا الأصلية لهذه الثورة وهذا البلد.

* إنّ تصدير الثورة بمعنى فضح أساليب المستبدين وأعمال الظالمين في العالم هو تكليفنا الإلهي، ومن واجبنا القيام به، وقد برهنت الجمهورية الإسلامية وأثبت الشعب الإيراني وتلك الشخصية الجليلة الفذة التي أظهرت

العالم صغيراً إزاء عظمتها ـ وهو إمامنا الكبير ـ إن القوى الكبرى إذا تكاتفت وتعاضدت لمواجهة مثل هذا العزم والإرادة الإسلامية للشعب فإنها سوف تبدو صغيرة وتافهة ولا شأن لها أمام إرادة كهذه عظيمة وفولاذية حتى لو كانت القوى الكبرى هي التي دخلت ميدان الصراع ضدها، هذا هو طريقنا.

* اعرفوا قيمة العطاء الكبير لثورتكم وهو تحكيم الإسلام، وإقامة النظام الإسلامي، والنظام الثوري، والخط الذي اختطه الإمام، وقدّره حق قدره، فإن هذا هو طريق الحياة الحرة الكريمة، والتكامل، والبناء الحقيقي للحياة التي يرضاها الله ويأمر بها الإسلام، وعدم المهادنة والتساوم مع القوى المعادية للإسلام.

* أجل إنّ الأمر كما قال إمامنا الجليل.

(سواء كنا في مكة أم لم نكن فإن قلوبنا وأرواحنا هي مع إبراهيم تطوف حول مكة وأرجائها، وبعد ذلك فليوصدوا بوجهنا أبواب مدينة الرسول أو يفتحوها، فإن رباط محبتنا للنبي لن ينقطع ولن يضعف أبداً، فنحن نيممّ وجوهنا شطر الكعبة في الصلاة، ونتوجه نحو الكعبة عند الموت، ونشكر الله على أننا بقينا ملتزمين بالعهد الذي التزمناه مع رب الكعبة ولم ننتظر أن يساند حركتنا حكام بعض البلدان الإسلامية وغير الإسلامية.

إننا مظلومو تاريخ المحرومين والحفاة، دائماً، وليس لدينا محام غير الله ولو قطعنا إرباً ألف مرة، فلن نترك النضال ضد الظالمين)

* لقد كان إمامنا وقائدنا الكبير يستثمر الوقائع والحوادث التي تلمّ بنا ـ طيلة السنوات العشر الماضية، ويعتبرها حوادث مرة وشاقة ومؤلمة، إلا أنه كان يحوّلها إلى عامل لتقويتنا وتطويرنا.

* لقد كان من أمينات إمامنا القائد الدائمة أن لا يحس شعبنا بالهزيمة أو القنوط والهوان.

* لقد زرع إمامنا الأمل في قلوب المسلمين، وعلينا صيانة هذا الأمل والمحافظة عليه، وهذا لا يتيسر إلا بانتهاج نفس السبيل الذي تحرك فيه الإمام وقاد الشعب والمسؤولين فيه، من أجل تحقيق نفس الأهداف، وينبغي ألا نخاف شيئاً.

* إنّ علينا أن نعرف قيمة تلك المواقف الحازمة والصارمة التي كان يقفها الإمام دوماً، وأن هذه المواقف الحاسمة لم تكن مواقف الإمام الشخصية بلا شك وإنما هي مواقف نظام الجمهورية الإسلامية التي كان رمزها ومعلمها ومعمارها وموجهها سماحة الإمام، وهذا هو أيضاً موقفنا دون أي زيادة أو نقصان.

* وطبعاً إذا كانت تلك اليد المقتدرة معنا فإن الأمور سوف تتيسر وتنتظم كما يُرام ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مات، وأمير المؤمنين عليه السلام كذلك، ومات الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فيجب أن نتوقع حدث ذلك للإمام أيضاً، هذه حقيقة واقعية مرّة

وقد وجهناها واضطررنا للتسليم بها، ويجب أن نسلّم بها، وعلينا أن نرسم الخطط مع الأخذ بنظر الاعتبار تلك الحقيقة.

إننا لا يمكن أن نقول: نحن شعب ثوري وجيد وقوي ولكن بشرط أن يكون الإمام فيما بيننا ويقودنا بكل اقتدار ويسير في طليعة حركتنا. وإذا ما فقدناه فإننا لم نعد كذلك.

ليس صحيحاً، وعلينا أن نقول أننا شعب ثوري قوي حاسم ويجب أن نستفيد من بركة وجود الإمام بأقصى ما يمكن، وفي اليوم الذي رفع فيه الله تعالى تلك النعمة من بيننا طبقاً لإرادته وتقديره فإننا نسعى للاستمرار في نهجه بكل ما أمكننا بأظافرنا وأسناننا وبكل إمكاناتنا وأنفاسنا الدافئة ودموع عيوننا وبكل ذرة من كياننا، كي نملأ ذلك الفراغ الذي سببّه غيابه.

مصادر النصوص

جميع النصوص المدرجة في هذا الكتاب تم اقتباسها من كتاب صدر عن منظمة الإعلام الإسلامي تحت عنوان (حديث الشمس) وهي مقاطع من كلمات وخطب وبيانات سماحة الإمام القائد ألقاها في مناسبات عديدة، وخصوصاً في الأيام التي أعقبت الفاجعة المؤلمة برحيل الإمام قدس سره.

ومن المناسب الإشارة إلى أن تاريخ هذه الكلمات لا يتجاوز عام ١٩٩٠م. ولسماحة الإمام القائد كلمات أخرى وبيانات تتناول الأبعاد المختلفة لشخصية الإمام ونهجه سوف يتم نشرها لاحقاً بإذن الله تعالى.

فهرس الكتاب

تمهيد ٣
١ ـ الشخصية المعنوية للإمام الخميني قدس سره ٦
علاقة الإمام بالله وإخلاصه له ١٣
سماحة الإمام هو المقتدى في الأمور المعنوية ٢٥
حكمة سماحة الإمام رضوان الله عليه ٢٦
ذكريات معنوية عن الإمام ٢٩
٢ـ الشخصية السياسية والاجتماعية لسماحة الإمام الخميني قدس سره ٣١
آثار نهضة الإمام قدس سره ٣١
قيادة سماحة الإمام قدس سره ٤٤
الإمام قدس سره والأمة ٤٧
سماحة الإمام قدس سره وأعداء الإسلام ٥٤
من الذكريات السياسية ٥٦
٣ـ المصيبة العظمى في فراق الإمام قدس سره ٦١
خيبة الأعداء ٦٧
٤ـ نهج الإمام الخميني وخطه ٧٣

الفصل الأول: تطلعات سماحة الإمام قدس سره ٧٣
تبيان الإسلام المحمدي النقي ٧٥
إرشاد الإمام ٧٦
عصر سماحة الإمام الخميني قدس سره ٧٩
الثورة الثقافية ٨١
الاعتماد على الناس ٨٣
الدفاع عن المستضعفين ٨٦
دور المرأة في المجتمع الإسلامي ٨٩
الفصل الثاني: طريقنا هو طريق الإمام قدس سره ٩٠
إتباع الإسلام المحمدي النقي ١٠٠
إتباع أوامر الإمام قدس سره وتطلعاته ١٠٣
المحافظة على الارتباط بالله ١١٦
صيانة الاتحاد ووحدة الكلمة ١٢٠
مصادر النصوص ١٢٨
فهرس الكتاب ١٢٩